

مسالك التحقيق في والدي القسطة

للإمام جمال الدين الشافعي

تحقيق وتعليق
د. محمد زينهم محمد عزب



مسالك الخنقا في والدي البسيط

دار أمين
للطباعة والنشر
بالقاهرة
مصر



DAR AL AMEEN

طبع - نشر - توزيع

القاهرة : ١ ش محمد محمود

باب اللوك (برج الأطباء)

تلهفون : ٣٥٥٨٤٦١

الجيزة : ١ ش سوهاج - من

ش الزقازيق - خلف قاعة

سيد درويش - المسرم

جميع حقوق الطبع

والنشر محفوظة للنشائر

ولا يجوز إعادة طبع

أو اقتباس جزء منه بدون

إذن كتابي من النشائر

الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

رقم الإيداع ١٩٩٣/٧٩٥١

I.S.B.N.

977-5424-27-5

من تراث السيوطي

مساكن الخنفاء في والدي المصطفى

للإمام جلال الدين السيوطي

تحقيق وتعليق
د. محمد زنيهم محمد عزب



دار الامين
DAR AL AMEEN

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

والصلاة والسلام على أفضل خلق البشر محمد بن عبد الله صاحب
السيرة المباركة الصادق الأمين وعلى آله وصحبه وبعد.

فنقدم للمكتبة العربية كتاباً من كتب سلسلة الإمام جلال الدين
السيوطي الهامة وهو «مسالك الجناف» والذي المصطفى صلى الله
عليه سلم، ويليه «التعظيم والمنة في أن أبوى رسول الله في الجنة» فقبل
التحدث عن هذا الكتاب نلقى الضوء على حياة الإمام السيوطي
وتتدرجه في العلم.

فالإمام السيوطي : هو عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر بن محمد بن
سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين
خضر بن نجم الدين أبى الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ
همام الدين الهمام الخضرى الأسوطى . ويلقب بجلال الدين ويكنى بأبى
الفصل وكناه بهذه الكنية شيخه العز الكنانى الحنبلى حين عرض عليه
ما حفظه، فقال : أبو الفصل، وكتب له هذه الكنية بخطه، ونسبته إلى

أسيوط جاءت من قبل والده الذى ولد بأسيوط بعد الثمانمائة تقريباً ونشأ واشتغل وتولى القضاء بها قبل قدومه إلى القاهرة .

وقد تحدث السيوطى عن والده وعلمه وفضله فى كتابه حسن المحاضرة فقال : والذى الإمام العلامة كمال الدين أبو المناقب أبو بكر.. ولد رحمه الله بأسيوط بعد ثمانمائة تقريباً .

وكان أبوه يعمل بالعلم فى أسيوط وتولى القضاء بها، ثم انتقل إلى القاهرة سنة ٨٢٥هـ . ولزم فى القاهرة العلامة القاياتى وهو محمد بن على بن يعقوب قاضى القضاة شمس الدين الشافعى وهو من العلماء الأجلاء، كان بارعاً فى عدة علوم منها الفقه والأصول والكلام والنحو والإعراب والمعانى والمنطق، وأجازه بالتدريس سنة ٨٢٩هـ . وأخذ عن باكير وابن حجر العسقلانى .

فالإمام باكير هو زين الدين أبو بكر بن إسحاق بن خالد الكفتاوى، وكان بارعاً فى مختلف العلوم وتفرد بالمعانى والبيان وقد ولى مشيخة المدرسة الشيوخونية، وكان قبلها قد ولى قضاء حلب فحمدت سيرته وأفتى ودرس بها . أما ابن حجر وهو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد العسقلانى ثم المصرى، ولد سنة ٧٧٣هـ وتخرج بالحافظ العراقى فى الحديث وبرع فيه، وله مؤلفات نافعة نذكر منها الإصابة فى تمييز الصحابة وفتح البارى بشرح صحيح البخارى .

كما أخذ عن غير هؤلاء من أئمة العصر حتى أتقن علوما كثيرة وبلغ في صناعة التوقيع الغاية وبرع في فن الإنشاء وأفتى ودرس في الحكم بالقاهرة، وولى التدريس لمادة الفقه بالجامع الشيعوني، والخطبة بالجامع الطولوني وكان لا يقلد غيره في خطبه ولم يستعمل ديوان الخطب الذي كان سائداً وما زال إلى عهد قريب، ولكنه كان ينشئ خطبه ويلقيها ارتجالاً، بل كان كثير من الشيوخ يلجأون إليه في تحرير خطب لهم.

وبلغ من منزلة أبيه العلمية الرفيعة أن العظماء وأبناءهم كانوا يتلقون العلم على يديه، فقد ذكر السيوطي أن الخليفة العباسي يعقوب بن المتوكل على الله كان قد اشتغل بالعلم على يد والده، كما ذكر أن الخليفة المستكفي - وكان من صلحاء الخلفاء وعبادهم - كان خصيصاً به جداء، ولم يعيش والد السيوطي بعد وفاة المستكفي إلا أربعين يوماً.

ولوالد السيوطي مؤلفات عديدة منها حاشية على شرح الألفية لابن المصنف في مجلدين، وكتاب في القراءات، ورسائل في النحو والصرف والتوقيع وغيرها.

ويتكلم السيوطي عن أخلاق أبيه فيذكر أنه كان على جانب كبير من الدين والتحرى في الأحكام وعزة النفس والصيانة، يغلب عليه حب الانفراد، مواظباً على قراءة القرآن، يختم كل جمعة ختمة.

وقد توفي والد السيوطي ولابنه من العمر ست سنوات سنة ٨٥٥ هـ،
وتقدم للصلاة عليه قاضى القضاة شرف الدين المناوى، وذكر أنه قال
عنه وهو ينتظر الصلاة، لم يبق هنا مثله ولا هناك، وأشار إلى المدينة.
ودفن بالقرافة قريباً من الشمس الأصفهاني.

ويتحدث السيوطي عن أسرته فيذكر أنها ذات فضل وعلم وتقوى،
فجده الأعلى همام الدين كان من أهل الحقيقة ومشايخ الطرق، والذين
جامعوا من بعده كانوا من أهل الوجاهة والرياسة منهم من ولى الحكم،
ومنهم من ولى الحسبة، ومنهم من كان تاجراً فى صحبة الأمير
شيخون، وكان على ولاء لمدينة أسيوط فأنشأ بها مدرسة ووقف عليها
أوقافاً، ومنهم من كان متمولاً - ذا ثروة -

نشأ السيوطي فى بيت علم وتقوى، وكان أبوه يتولى مهمة تحفيظه
القرآن وحين توفي كان قد حفظ القرآن حتى سورة التحريم. ولم يتم
السيوطي السادسة بعد، ولم تكمل سنه الثامنة حتى كان قد أتم حفظ
القرآن الكريم كله. ومن شيوخه جلال الدين المحلى وعلم الدين البلقينى
والشارمساحى والمناوى والشمى وسيف الدين الحنفى والعز الحنبلى
والمرزبانى والاقصرائى والعبادى والطنونى وآسية بنت جابر الله بن
صالح الشيبانى الطبرى وكمالية بنت محمد بن محمد الهاشمية المكية
وأم هانى بنت أبى الحسن الهروينى وأم الفضل بنت محمد المقدسى
وصالحة بنت على ابن الملقن وفاطمة بنت على بن اليسير وشوان بنت

عبدالله الكنانى وهاجر بنت محمد المصرية وسارة بنت محمد البالى .

وقد رزق السيوطى التبحر فى سبعة علوم هى : التفسير والحديث
والفقه والدحو والمعانى والبيان والبديع ، وقد بلغ عدد كتبه ٥٨٣ مؤلفاً .

أولاً - فى علوم القرآن :

١ - الناسخ والمنسوخ فى القرآن .

٢ - شرح الشاطبية الألفية فى القراءات .

٣ - الإكليل فى استنباط التنزيل .

٤ - مجمع البحرين ومطلع البدرين .

٥ - المذهب .

٦ - لباب النقول فى أسباب النزول .

٧ - الإتيقان فى علوم القرآن .

٨ - الدر المنثور فى التفسير بالماثور .

ثانياً - الحديث ومتعلقاته .

١ - ذيل طبقات الحفاظ .

٢ - اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة .

٣ - تلوير الحوالم فى شرح موطأ الإمام مالك .

٤ - تدريب الرواى فى شرح تقريب الدواوى .

٥ - جمع الجوامع فى السنة .

٦ - كتاب مفتاح الجنة .

ثالثا - علوم اللغة :

١ - خصائص اللغة .

٢ - المزهر .

رابعا - التاريخ :

١ - حسن المحاضرة فى أخبار القاهرة .

٢ - تاريخ الخلفاء .

٣ - فضائل مكة والمدينة .

خامسا - التصوف :

١ - تأييد الحقيقة العلية .

٢ - درج المعالى فى نصرة الغزالى .

٣ - مختصر الإحياء .

٤ - الخبر الدال على وجود القطب .

٥ - المعانى الدقيقة .

٦ - سهام الإصابة في الدعوات المستجابة .

٧ - شرح الصدور بشرح حال الموتى .

٨ - بشرى الكتيب بقاء الحبيب .

وغيرها من المصنفات في شتى المجالات .

مات سنة ٩١١ هـ بعد أن ترك لنا ثروة عظيمة وهائلة من أمهات كتب التراث .

والكتاب الذى بين أيدينا يلقى الضوء بالآيات والأحاديث واجتهادات الأئمة حول موضوع هام وهو هل والدا النبى صلى الله عليه وسلم يدخلان الجنة أم لا ، وخاصة أن النبى صلى الله عليه وسلم نشأ يتيما ، وذيلته بكتاب وهو يحمل نفس الموضوع ولكن بعمق وهو التعظيم والملة فى أن أبوى رسول الله فى الجنة ، وقد برع السيوطى فى تنسيق هذا الموضوع بإصداره فى كتب صغيرة . وقد اعتمدت فى تحقيقه على مطبعاته القديمة وخاصة طبعات حيدر آباد والقاهرة .

ونرجو من الله أن ينفع هذا الكتاب كل مسلم ومسلمة وكل باحث وباحثة والله الموفق يارب .

القاهرة فى ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م

الدكتور محمد زينهم عزب

مسالك الحنفيا
فنى
والدى المصطفى
صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، هذا تأليف يسمى مسالك الحنفا في والدى المصطفى في مسألة الحكم في أبوى اللبى صلى الله عليه وسلم أنهما ناجيان وليسا فى النار، صرح بذلك جمع العلماء ولهم فى تقرير ذلك مسالك.

المسلك الأول

أنهما ماتا قبل البعثة ولا تعذيب قبلها لقوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ (١) وقد أطبقت أئمتنا الأشاعرة (٢) من أهل الكلام والأصول والشافعية من الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا، ونص عليه الإمام الشافعى رضى الله عنه وسائر الأصحاب بل زاد بعض الأصحاب، وقال: إنه يجب فى قتله القصاص

(١) ١٥ ك الإسراء ١٧

(٢) انظر مقالات الإسلاميين للأشعرى

ولكن الصحيح خلافه لأنه ليس بمسلم حقيقى وشرط القصاص المكافأة، وقد علل بعض الفقهاء كونه إذا مات لا يعذب بأنه على أصل الفطرة، ولم يقع منه عناد ولا جاءه رسول فكذبه، وهذا المسلك أول ما سمعته فى هذا المقام الذى نحن فيه من شيخنا شيخ الإسلام شرف الدين المناوى^(٣) فإنه سئل عن والد النبى صلى الله عليه وسلم هل هو فى النار فزأر السائل زأرة شديدة. فقال له السائل: هل ثبت إسلامه؟ فقال إنه مات فى الفطرة ولا تعذيب قبل البعثة ونقله ابن الجوزى^(٤) فى (كتاب مرآة الزمان) عن جماعة فإنه حكى كلام جده على حديث إحياء أمه

(٣) له ذكر فى سير أعلام النبلاء

(٤) هو الإمام العلامة الحافظ عالم العراق وواعظ الآفاق جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن القرشى البكرى الصديقى البغدادى الحنبلى الواعظ. صاحب التصانيف السائرة فى فنون العلم وعرف جدهم بالجوزى لجوزة كانت فى دارهم لم يكن بواسط سواها. ولد سنة ٥١٠ هـ وسمع فى سنة تسع عشرة من ابن الحصين وأبى غالب بن الهداء وخلق عندهم سبع وثمانون نفساً.

حدث عنه بالإجازة الفخر على وغيره. وله «زاد المسير» فى التفسير، و«جامع المسانيد» و«المغنى» فى علوم القرآن و«تذكرة الأريب» فى اللغة و«الوجوه والنظائر» و«مشاكل الصحاح» و«الموهنوعات» و«الواحيات» و«المنعفاء» و«تقديم قهوم الأثر» و«المنتظم» فى التاريخ. مات سنة ٥٩٧ هـ.

صلى الله عليه وسلم ثم قال ما نصه وقال قوم قد قال الله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾^(٥) والدعوة لم تبلغ أباه وأمه فما ذنبهما، وجزم به الأبى فى (شرح مسلم) وسأذكر عبارته وقد ورد فى أهل الفطرة أحاديث أنهم يمتحنون يوم القيامة وآيات مشيرة إلى عدم تعذيبهم، وإلى ذلك ما لحافظ العصر شيخ الإسلام أبو الفضل ابن حجر^(٦) فى بعض كتبه فقال : والظن بأبائه صلى الله عليه وسلم يعنى الذين ماتوا قبل البعثة أنهم يطيعون عند الامتحان إكراماً له صلى الله عليه وسلم لتقرُّ بهم عينه، وقد جعلت قضية الامتحان داخلة فى هذا المسلك مع أن الظاهر أنها مسالك مستقلة، لكن وجدت ذلك لمعنى دقيق لا يخفى على ذوى التحقيق.

(٥) ١٥ ك الإسراء ١٧

(٦) هو شيخ الإسلام أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على الكنانى العسقلانى ثم المصرى الشافعى ولد سنة ٧٧٣هـ وعانى أولا الأدب والشعر فبلغ فيه الغاية، ثم طلب الحديث من سنة ٧٩٤هـ فسمع الكثير ورحل ولازم شيخه الحافظ أبا الفضل العراقى وبرع فى الحديث وتقدم فى جميع فنونہ. له عدة مصنفات منها شرح البخارى وتعليق التعليق والتشويق إلى وصل التعليق والتوفيق وتهذيب التهذيب وتقريب التهذيب ولسان الميزان والإصابة فى تمييز الصحابة ونكت ابن الصلاح وأسباب النزول وتعجيل المنفعة برجال الأربعة والمدرج والمقرب فى المضطرب وغيرها مات سنة ٨٥٢هـ.

ذكر الآيات المشيرة إلى ذلك

الأولى : قوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ (٧) وهذه الآية هي التي أطلقت أئمة السنة على الاستدلال بها في أنه لا تعذيب قبل البعثة وردوا بها على المعتزلة (٨) ومن وافقهم في تحكيم العقل، أخرج ابن جرير (٩) وابن أبي حاتم (١٠) في تفسيريهما عن قتادة (١١) في قوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ قال: الله ليس بمعذب أحداً حتى يسبق إليه من الله خبر أو يأتيه من الله بيعة.

(٧) ١٥٠ الإسراء ١٧

(٨) انظر التفاصيل في مقالات الإسلاميين للأشعري

(٩) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري أحد الأعلام ومناصب التصانيف الطواف، كان فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين، بصيراً بأيام الناس وأخبارهم، له «تاريخ الرسل» والتفسير وتهذيب الآثار. ولد سنة ٢٢٤هـ ومات سنة ٣١٠هـ.

(١٠) هو أبو محمد عبد الرحمن بن محمد إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي. ولد سنة ٢٤٠هـ، له الجرح والتعديل والتفسير والرد على الجهمية، ثقة مات سنة ٣٢٧هـ.

(١١) هو قتادة بن دعامة بن قنادة المدوسي أبو الخطاب البصري الأكمه، روى عن أنس وعبد الله بن سرجس وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب والحسن وابن سيرين وخلق وعنه أبو حنيفة وأيوب وشعبة ومسر والأوزاعي وحماد بن سلمة وأبو عوانة وخلق. ثقة ولد سنة ٦٠هـ ومات سنة ١١٧هـ.

الآية الثانية : قوله تعالى ﴿ ذَلِكْ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَيْكَ مَهْلِكُ الْقُرَى
يُظْلَمُ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾ (١٢) أورد هذه الآية الزركشى (١٣) فى (شرح
جمع الجوامع) استدلالاً على قاعدة أن شكر المنعم ليس بواجب عقلاً بل
بالسمع.

الثالثة : قوله تعالى ﴿ وَلَوْ لَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ
أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٤) أورد هذه الآية الزركشى أيضاً . وأخرج ابن أبى حاتم
فى تفسيره عند هذه الآية بسند حسن عن أبى سعيد الخدرى (١٥) قال
قال رسول الله ﷺ : الهالك فى الفترة يقول رب لم يأتنى كتاب ولا
رسول ، (١٦) ثم قرأ هذه الآية ﴿ رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ
آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

الرابعة : قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا

(١٢) ١٣١ ك الأنعام ٦

(١٣) هو العلامة أبو الحسن الشيخ بدر الدين الزركشى . تفقه على بعض أصحاب
الدميرى ، وبرع فى المذهب حتى فاق على أهل زمانه ولقبوه بالسبكي الثانى ،
وله تصانيف منها بدلية المحتاج فى شرح المنهاج . مات سنة ٩٣١ هـ .

(١٤) ٤٧ . القصص ك ٢٨

(١٥) هو أبو سعيد الخدرى سعد بن مالك الأنصارى أبو حمزة المدنى ، خادم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وله صحبة طويلة وحديث كثير . مات فى سنة ٩٣ هـ .
(١٦) ورد فى صحيح البخارى ومسلم .

ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى» (١٧) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عند هذه الآية عن عطية العوفى (١٨) قال : الهالك في الفطرة يقول رب لم يأتلى كتاب ولا رسول وقرأ هذه الآية ﴿ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله ﴾ (١٩) إلى آخر الآية.

الخامسة : قوله تعالى ﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس (٢٠) وقناة في الآية وإلا لم يهلك الله تعالى أهل مكة حتى بعث إليهم محمداً ﷺ فلما كذبوا ظلموا فبذلك هلكوا.

السادسة : قوله تعالى ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واثقوا لعلمكم ترحمون ﴾ أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين (٢١).

(١٧) ١٣٤ ك طه ٢٠

(١٨) هو عطية بن سعد بن جنادة العوفى الجدلى القيسى الكوفى أبو الحسن. روى عن أبي سعيد وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وزيد بن أرقم وعكرمة وعدي ابن ثابت وغيرهم ثقة مات سنة ١٠١ هـ وقيل سنة ١٢٧ هـ.

(١٩) ١٣٤ ك طه ٢٠

(٢٠) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو العباس الهاشمى الإمام البحر عالم العصر ابن عم رسول الله صلى عليه وسلم، دعا له النبى صلى الله وسلم أن يفقهه الله فى الدين ويعلمه التأويل. مات ابن عباس بالطائف سنة ٦٨ هـ.

(٢١) ١٥٥، ١٥٦ الأنعام ٦

السابعة : قوله تعالى ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ﴾ ذكرى
وما كنا ظالمين ﴿ (٢٢) اخرج عبد بن حميد (٢٣) وابن المنذر (٢٤) وابن
أبي حاتم في تفاسيرهم عن قتادة في الآية قال : ما أهلك الله من قرية
إلا من بعد الحجة والبينة والعذر حتى يرسل الرسل وينزل الكتب تذكرة
لهم وموعظة وحجة لله ذكرى وما كنا ظالمين . يقول ما كنا للعذبهم إلا
من بعد البينة والحجة .

الثامنة : قوله تعالى ﴿ وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا
نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من
تذكر وجاءكم النذير ﴾ قال المفسرون : أحتج عليهم ببعثة النبي صلى
الله عليه وسلم وهو المراد بالنذير في الآية .

(٢٢) ٢٠٨ ، ٢٠٩ ك الشعراء ٢٦ .

(٢٣) هو عبد بن حميد نصر الكرسى أبو محمد الحافظ، قيل اسمه عبد الحميد، روى
عن يزيد بن هارون ومحمد بن بشر العبدى وعبد الرزاق وخلق، وعنه مسلم
والترمذى وإبراهيم بن خريم الشاشى . وصنف المسند والتفسير . مات سنة
٢٤٩هـ .

(٢٤) هو شكر الحافظ الثقة الرجال أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر بن شعبة
الهروى مقدم فى الفن وصنف . مات سنة ٣٠٣هـ .

ذكر الأحاديث الواردة في أن أهل الفترة يمتحنون يوم
القيامة فمن أطاع منهم أدخل الجنة ومن عصى أدخل النار

الحديث الأول : أخرج الإمام أحمد بن حنبل^(٢٥) وإسحاق بن
راهويه^(٢٦) في مسنديهما والبيهقي^(٢٧) في (كتاب الاعتقاد) وصححه
عن الأسود بن سريع^(٢٨) أن النبي ﷺ قال : أربعة يحتجون يوم القيامة :

(٢٥) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبد الله
المروزي ثم البغدادي صاحب المسند والزهد، روى عن إبراهيم بن سعد
وإسماعيل بن علية ويهز بن أسد ويشر بن الفضل وخلائق. وعنه البخاري
ومسلم وأبو داود وإبراهيم الحاربي وآخرون آخرهم أبو القاسم عبيد الله بن محمد
البغوي، كان من كبار الحفاظ الأئمة ومن أعلام هذه الأمة. ولد سنة ١٦٤هـ
ومات سنة ٢٤١هـ.

(٢٦) هو إسحاق بن راهويه إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن مطر الحنظلي أبو
يعقوب المروزي، روى عن ابن علية وروح بن عبادة وسليمان بن حرب وابن
عبيدة وزكريا بن عدي وابن مهدي وعبد الرزاق وخلائق. أملى المسند والتفسير
مات سنة ٢٣٨هـ.

(٢٧) هو الإمام الحافظ شيخ خراسان أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى
الخسروجردي صاحب التصانيف، ولد سنة ٢٨٤هـ ومات سنة ٤٥٠هـ، له عدة
مسنقات منها السنن الكبرى والصغرى وشعب الإيمان والأسماء والصفات
ودلائل النبوة والبعث والآداب والدعوات والمدخل والمعرفة والترغيب والترهيب
والخلافيات والزهد والمعتقد.

(٢٨) هو الأسود بن سريع بن حمير بن عبادة التميمي السعدي من بني منقر
صحابي، غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثقة مات سنة ٤٢هـ.

رجل أصم لا يسمع شيئا ورجل أحمق ورجل هرم مات في فترة .
وأما الأصم فيقول رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئا وأما الأحمق فيقول
رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبعر، وأما الهرم فيقول رب
لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئا وأما الذي مات في الفترة فيقول رب ما
أتانى لك رسول . فيأخذ مواليقهم ليطلقه فيرسل إليهم أن ادخلوا الدار
فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها يستجر إليها .

الحديث الثاني : أخرج أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه في
مسنديهما وابن مردويه^(٢٩) في تفسيره والبيهقي في (الاعتقاد) عن أبي
هريرة^(٣٠) رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أربعة
يحتجون ... فذكر مثل حديث الأسود بن سريع .

الحديث الثالث : أخرج البزار^(٣١) في مسنده عن أبي سعيد

(٢٩) هو ابن مردويه الصغير الحافظ الإمام أبو بكر أحمد بن محمد ابن الحافظ
الكبير أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، أحد شيوخ السلفي، لم
يلحق جده، وسمع ابن عديكويه وأبا نعيم .

(٣٠) هو أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني حفظ عن النبي ﷺ
الكثير وعن أبي بكر وعمر وأبي بن كعب، وعنه سعيد بن المسيب وبشير بن
نهيك وخلق كثير، وكان من أوعية العلم ومن كبار أئمة الفتوى مع الجلالة
والعبادة والتواضع، وولى إمرة المدينة وناب أيضا عن مروان في إمرتها . مات
سنة ٥٨ هـ .

(٣١) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن سعد الديسابوري الحاجي البزار، أحد الأئمة
مات فجأة سنة ٣٤٩ هـ .

الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: يؤتى بالهالك فى الفترة والمعتوه والمولود، فيقول الهالك فى الفترة لم يأتنى كتاب ولا رسول، ويقول المعتوه أى رب لم تجعل لى عقلا أعقل به خيرا ولا شرا، ويقول المولود لم أدرك العمل، قال فيرفع لهم نار فيقال لهم: ردوها أو قال ادخلوها فيدخلها من كان فى علم الله سعيدا لو أدرك العمل، ويمسك عنها من كان فى علم الله شقيا لو أدرك العمل، فيقول تبارك وتعالى: إياى عصيتم وكيف برسلى بالغيب. فى إسناده عطية العوفى فيه ضعف والترمذى يحسن حديثه وهذا الحديث له شواهد تقتضى الحكم بحسنه وثبوته.

الحديث الرابع : أخرج البزار وأبو يعلى (٣٢) فى مسنديهما عن أنس (٣٣) قال : قال رسول الله ﷺ يؤتى بأربعة يوم القيامة بالمولود والمعتوه ومن مات فى الفترة وبالشيخ الفانى كلهم متكلم بحجته، فيقول الله تبارك وتعالى لعنق من جهنم : ابرزى فيقول لهم إنى كنت أبعث إلى عبادى رسلا من أنفسهم وإنى رسول نفسى إليكم ادخلوا هذه، فيقول

(٣٢) هو معلى بن منصور الرازى أبو يعلى، روى عن ابن عيينة وحماد بن زيد ومالك والليث وخلق، وعنه ابن المدينى وأبو بكر بن أبى شيبة وآخرون، مات سنة ٢١١هـ.

(٣٣) هو أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة الأنصارى المدنى، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وله صحبة طويلة وحديث كثير، مات سنة ٩٣هـ.

من كتب عليه الشقاء : يارب أَدْخِلْناها وما كنا نعرف، ومن كتب له السعادة فيمضى فيفتح فيها مسرعا فيقول الله قد عصيتموني فأنتم لرسلي أشد تكذيبا ومعصية فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار.

الحديث الخامس : أخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن حاتم عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الفترة والمعنوه والأسم والأبكم والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام ثم أرسل إليهم رسولا أن ادخلوا النار فيقولون كيف ولم يأتنا رسل؟ قال : وايم الله لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما، ثم يرسل إليهم فيطيعه من كان يريد أن يطيعه . قال أبو هريرة اقرأوا إن شئتم ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ إسناده صحيح على شرط الشيخين، ومثله لا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع.

الحديث السادس : أخرج البزار والحاكم^(٣٤) في مستدركه عن

(٣٤) هو الحافظ الكبير إمام المحدثين أبو عبد الله محمد بن عبد الله محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي الديسابوري يعرف بابن البيع صاحب المستدرک والتاريخ وعلوم الحديث والمدخل والإكليل ومناقب الشافعي ولد سنة ٣٢١هـ ومات سنة ٤٠٥هـ، تفقه بأبي سهل الصعلوكي وابن أبي هريرة، حدث عنه الدارقطني وابن أبي الفوارس والبيهقي والخليلي وخلائق.

ثوبان (٣٥) أن النبي ﷺ قال : إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم، فيسألهم ربهم فيقولون: ربنا لم ترسل إلينا رسولا ولم يأتنا لك أمر ولو أرسلت إلينا رسولا لكنا أطوع عبادك. فيقول لهم ربهم : أرايتكم إن أمرتكم بأمر تطيعوني، فيقولون أن نعم فيأمرهم أن يعمدوا إلى جهنم فيدخلوها فينطلقون حتى إذا دنوا منها وجدوا لها تغيظا وزفيرا فرجعوا إلى ربهم فيقولون ربنا أجرنا منها فيقول لهم ألم تزعموا أني لو أمرتكم بأمر تطيعوني، فيأخذ على ذلك مواليقهم فيقول اعمدوا إليها فادخلوا فينطلقون حتى إذا رأوها فرقوا ورجعوا فقالوا ربنا فرقنا منها ولا نستطيع أن ندخلها داخرين، فقال النبي ﷺ لو دخلوها أول مرة كانت عليهم بردا وسلاما. قال الحاكم صحيح على شرط البخاري (٣٦) ومسلم (٣٧).

(٣٥) هو ثوبان بن جدد ويقال ابن جدد أبو عبد الله ويقال أبو عبد الرحمن الهاشمي مولى النبي ﷺ، قيل أصله من اليمن أصابه سبي فاشتراه النبي ﷺ فأعتقه. روى عنه أبو أسماء الرحبي ومعدان ابن أبي طلحة البصري وأبو حنيفة المؤذن وراشد بن سعد وجبير بن نفير وعبد الرحمن بن غنم وأبو عامر الأكناني وأبو إدريس الخولاني وجماعة. مات سنة ٥٤ هـ.

(٣٦) هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة الجعفي مولاهم صاحب الصحيح، روى عن الإمام أحمد وإبراهيم بن المنذر وابن المنذر وأدم بن أبي إياس وقتيبة وخلق، وعنه مسلم والترمذي وإبراهيم الحري وابن أبي الدنيا وأبو حاتم والمحاملي والفريدي وغيرهم. ولد سنة ١٩٤ هـ ومات سنة ٢٥٦ هـ، له عدة مصنفات منها التاريخ والأدب المفرد والقراءة خلف الإمام.

(٣٧) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسن النيسابوري الإمام الحافظ-

الحديث السابع : أخرج الطبراني (٣٨) وأبو نعيم (٣٩) عن معاذ بن جبل (٤٠) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يؤتى يوم القيامة بالممسوح عقلا وبالهالك فى الفترة وبالهالك صغيرا فيقول الممسوح عقلا يا رب لو آتيتنى عقلا ما كان من آتيتك عقلا بأسعد لعقله منى ،

٣- صاحب الصحيح، روى عن قتبية وعمرو الناقد وابن المنذر وابن يسار وأحمد وإسحاق وخلق. وعنه الترمذى وأبو عوانة وابن صاعد وخلق. مات سنة ٢٦١هـ، له عدة مصنفات منها التمييز والعلل والوحدان والأفراد وأوهام المحدثين وغيرهم.

(٣٨) هو الإمام العلامة الحجة بقية الحفاظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، ولد بمكا سنة ٢٦٠هـ ومات سنة ٣٦٠هـ، له عدة مصنفات مشهورة منها النوادر ومسند شعبة ومسند سفيان ومسند الشاميين وغيرهم.

(٣٩) هو الحافظ الكبير والمحدث أحمد بن عبد الله بن إسحاق بن موسى بن مهران المهراني الأصبهاني الصوفي الأحول، سبط الزاهد محمد بن يوسف البناء، ولد سنة ٣٣٦هـ ومات سنة ٤٣٠هـ، له عدة مصنفات منها الحلية ودلائل النبوة وصفة الجنة والمستخرج على البخاري والمستخرج على مسلم ومعرفة الصحابة وأخبار أصبهان وفضائل الصحابة وغيرهم.

(٤٠) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائد الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن المدني، أسلم وهو ابن ثمانى عشرة سنة، وشهد بدرًا والعقبة والمشاهد وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعنه ابن عباس وأبو موسى الأشعري وابن عمرو وابن عمر وعبد الرحمن بن سمرة وابن أبي أوفى وأنس وجابر وأبو الطفيل وعبد الرحمن بن غنم وأبو مسلم الخولاني. مات سنة ١٧هـ.

وذكر الهالك في الفترة والصغير نحو ذلك، فيقول الرب : إني آمركم بأمر فتطيعوني فيقولون نعم فيقول اذهبوا فادخلوا النار، قال ولو دخلوها ما ضررتهم، فتخرج عليهم فرائص فيظنون أنها قد أهلكت ما خلق الله من شيء فيرجعون سراعا ثم يأمرهم الثانية فيرجعون كذلك، فيقول الرب : قبل أن أخلقكم علمت ما أنتم عاملون، وعلى علمي تصيرون، ضميهم، فتأخذهم. قال الكيا الهراسي^(٤١) في تعليقه في الأصول في مسألة شكر المنعم : اعلم أن الذي استقر عليه آراء أهل السنة قاطبة أنه لا مدرك للأحكام سوى الشرع المنقول، ولا يتلقى من قضيات العقول، فأما من عدا أهل الحق من طبقات الخلق كالرافضة^(٤٢) والكرامية^(٤٣) والمعتزلة وغيرهم فإنهم ذهبوا إلى أن الأحكام منقسمة، فمدها ما يتلقى من الشرع المنقول ومنها ما يتلقى من قضيات العقول، قال : وأما نحن فنقول : لا يجب شيء قبل مجيء الرسول، فإذا ظهر وأقام المعجزة يمكن العاقل من النظر فنقول لا يعلم أول الواجبات إلا بالسمع فإذا جاء الرسول وجب عليه النظر، وعند هذا يسأل المستطرفون

(٤١) هو أبو الحسن عماد الدين علي بن محمد الطبري المعروف بالكيا الهراسي (الكيا) الكبير بلغة الفارسي (والهراسي) الخائف، فقيه قاض مفسر، ولد بطبرستان سنة ٤٥٠ هـ وانتقل إلى بيهق فدرس بها مدة، ثم رحل إلى بغداد ودرس بالنظامية ووعظ واتهم بمذهب الباطنية فرجم، وأراد السلطان قتله فحماء المستظهر وشهد له، من تصانيفه أحكام القرآن، مات سنة ٥٠٤ هـ.

(٤٢) لهم تفاصيل في كتاب الفرق بين الفرق للبغدادى ١٥ - ١٧

(٤٣) لهم آراء غريبة وعجيبة. انظر المال والنحل للشهرستاني.

فيقولون : ما الواجب الذي هو طاعة وليس بقربة ؟ وجوابه أن النظر هو أول الواجبات طاعة وليس بقربة لأنه ينظر للمعرفة فهو مطيع وليس بمنقرب لأنه إنما يتقرب إلى من يعرفه . قال : وذكر شيخنا الإمام في هذا المقام شيئاً حسناً فقال : قبل مجيء الرسول يتعارض الخواطر والطرق إذ ما من خاطر يعرض له إلا ويمكن أن يقدر أن يخطر خاطره آخر على نقيضه فيتعارض الخواطر ويقع العقل في حيرة ودهشة . فيجب التوقف إلى أن تنكشف الغمة ، وليس ذلك إلا لمجيء الرسول وهنا قال الأستاذ أبو إسحاق إن قول لا أدري نصف العلم ، ومعناه أنه انتهى علمي إلى حد وقف عنده مجاوزة العقل ، وهذا إنما يقوله من وقف في العلم وعرف مجاري العقل مما لا يجري فيه ، ووقف عنده . انتهى .

وقال الإمام فخر الدين الرازي في المحصول : شكر المنعم لا يجب عقلاً خلافاً للمعتزلة . لنا أنه لو تحقق الوجوب قبل البعثة لعذب تاركه ، ولا تعذيب قبل البعث ، فلا وجوب ، أما الملازمة فبينة وأما أنه لا تعذيب فلقوله سبحانه وتعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ بقي التعذيب إلى غاية البعثة فيبقى وإلا وقع الخلف في قول الله وهو محال . انتهى .

وذكر أتباعه مثل ذلك كصاحب الحاصل والتحصيل والبيضاوي في (منهاجه) وقال القاضى تاج الدين السبكي^(٤٤) في (شرح مختصر ابن

(٤٤) هو الإمام الفقيه المحدث العافظ المفسر الأصولي النحوي اللغوي الأديب المجتهد تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي . أخذ الفقه عن ابن -

الحاجب) (٤٥) على مسألة شكر المنعم : فيخرج من لم تبلغه الدعوة فعندنا يموت ناجيا ولا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام وهو مضمون بالكفارة والدية ولا يجب القصاص على قاتله على الصحيح، وقال البغوي في التهذيب : أما من لم تبلغه الدعوة فلا يجوز قتله قبل أن يدعى إلى الإسلام فإن قتل قبل أن يدعى إلى الإسلام وجب في قتله الدية والكفارة. وعند أبي حنيفة رحمه الله لا يجب الضمان بقتله، وأصله أنه عندهم محجوج عليه قبل بلوغ الدعوة إليه بقوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ فثبت أنه لا حجة عليه قبل مجيء الرسول، انتهى.

وقال الرافعي (٤٦) في (الشرح) من لم تبلغه الدعوة لا يجوز قتله قبل الإعلام والدعاء إلى الإسلام، ولو قتل كان مضمونا خلافا لأبي حنيفة، وبني الخلاف على أنه محجوج عليه بالعقل عنده، وعندنا من لم تبلغه الدعوة لا تثبت عليه الحجة ولا تتوجه المؤاخدة، قال تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ انتهى، وقال الغزالي في

= الرقعة والحديث عن الشرف الدمياطي والقراءات عن التقي الصالغ والأسلين والمعقول عن العلامة الباجي والخلاف والمنطق عن السيف البغدادي، والنحو عن أبي حيان، والتصوف عن التاج بن عطاء. مات سنة ٧٥٦هـ.

(٤٥) هو عز الدين ابن الحاجب الحافظ العالم المفيد أبو الفتح عمر بن محمد بن منصور الدمشقي سمع الكثير وعمل المعجم عن ألف ومائة وثمانين شيئا، ومعجم الأماكن. مات سنة ٦٣٠هـ.

(٤٦) هو أبو الفضل محمد بن عبد الكريم بن فضل القزويني، وكان ممن خص بعفة الذيل، وحسن السيرة في العلم والعبادة وذلاقة اللسان وقوة الجنان والصلابة في الدين مات سنة ٥٠٨هـ.

(البسيط) من لم تبلغه الدعوة يضمن بالدية والكفارة لا بالقصاص على الصحيح لأنه ليس مسلماً على التحقيق، وإنما هو في المعنى المسلم، وقال ابن الرقعة^(٤٧) في (الكفاية) لأنه مولود على الفطرة ولم يظهر منه عناد، وقال النووي^(٤٨) في (شرح مسلم) في مسألة أطفال المشركين : المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحققون أنهم في الجنة، لقوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ قال وإذا كان لا يعذب البالغ لكونه لم تبلغه الدعوة فغيره أولى . انتهى .

فإن قلت : هذا المسلك الذي قدرته هل هو عام في أهل الجاهلية كلهم ؟ قلت : لا بل هو خاص لمن لم تبلغه دعوة نبي أصلاً أما من بلغته منهم دعوة أحد من الأنبياء السابقين ثم أصر على كفره فهو في النار قطعاً . وهذا لا نزاع فيه وأما الأبوان الشريفان فالظاهر من حالهما ما ذهبت إليه هذه الطائفة من عدم بلوغهما دعوة أحد، وذلك لمجموع أمور : تأخر زمانهما وبعد ما بينهما وبين الأنبياء السابقين فإن آخر الأنبياء قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم عيسى عليه السلام، وكانت الفترة بينه وبين بعثة نبينا نحو ستمائة سنة ثم إنهما كانا في زمن

(٤٧) له ذكر في طبقات الحفاظ للسيوطي .

(٤٨) هو الإمام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحوراني الشافعي، ولد سنة ٦٣١ هـ ومات سنة ٦٧٦ هـ، قدم دمشق سنة ٦٤٩ هـ وحج مرتين، وسمع من الرضوي ابن البرهان والنعمان بن أبي اليسر والطبقة، وصنف التصانيف منها شرح مسلم والروضة وشرح المذهب والمنهاج والتحقيق والأذكار ورياض الصالحين والإرشاد والتقريب وغيرها .

جاهلية، وقد طبق الجهل الأرض شرقا وغربا وفقد من يعرف الشرائع ويبلغ الدعوة على وجهها إلا نفر يسير من أحبار أهل الكتاب مزقت في أقطار الأرض كالشام وغيرها، ولم يعهد لهما قلب في الأسفار سوى المدينة ولا عمرا عمرا طويلا بحيث يقع لهما فيه التلقيب والتفتيش، فإن والد النبي صلى الله عليه وسلم لم يعيش من العمر إلا قليلا، قال الإمام الحافظ صلاح الدين العلائي^(٤٩) في كتابه (الدرة السنية في مولد سيد البرية) كان سن عبد الله حين حملت منه آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ثمانية عشر عاما ثم ذهب إلى المدينة ليمتار منها تمرا لأهله فمات بها عند أخواله من بنى الدجار، والنبي صلى الله عليه وسلم حمل على الصحيح، انتهى. وأمه قريبة من ذلك ولا سيما وهي امرأة مصونة محجبة في البيت عن الاجتماع بالرجال، والغالب على النساء أنهن لا يعرفن ما الرجال فيه من أمر الديانات والشرائع خصوصا في زمان الجاهلية الذي رجاله لا يعرفون ذلك فضلا عن نسائه، ولهذا لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم تعجب من بعثته أهل مكة وقالوا «أبعث الله بشرا رسولا» و«وقالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آياتنا الأولين» فلو كان عندهم علم من بعثة الرسل ما أنكروا

(٤٩) هو الفقيه ذو الفنون صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكادى الشافعى عالم بيت المقدس. ولد سنة ٦٩٤ هـ ومات سنة ٧٦١ هـ، سمع التقي سليمان وطبقته ولازم البرهان الغزالي والكمال الزمكاني، له عدة مصنفات منها الأربعين في أعمال المتقين والقواعد المشهورة وعلوم آيات الفرائض. وخرج ودرس بأماكن منها الناصرية والأسدية والصلاحية بالقدس والتكرية وغير ذلك.

ذلك، وربما كانوا يظنون أن إبراهيم بحث بما هم عليه فإنهم لم يجدوا من يبلغهم شريعة إبراهيم على وجهها لدثورها وفقد من يعرفها إذ كان بينهم وبين زمن إبراهيم أزيد من ثلاثة آلاف سنة، فاتضح بذلك صحة دخولهما في هذا المسلك، ثم رأيت الشيخ عز الدين بن عبد السلام قال في (أماليه) ما نصه : كل نبي إنما أرسل إلى قومه إلا نبينا صلى الله عليه وسلم. قال فعلى هذا يكون ما عدا قوم كل نبي من أهل الفترة إلا ذرية النبي السابق فإنهم مخاطبون ببعثة السابق إلا أن تدرس شريعة السابق فتصير الكل من أهل الفترة. هذا كلامه فبان بذلك أن الوالدين الشريفين من أهل الفترة بلا شك، لأنهما ليسا من ذرية عيسى ولا من قومه، ثم ترشح مما قال حافظ العصر أبو الفضل ابن حجر^(٥٠) أن الظن بهما أن يطعما عند الامتحان أمران أحدهما : ما أخرجه الحاكم في (المستدرك) وصححه عن ابن مسعود^(٥١) قال : قال شاب من الأنصار :

(٥٠) هو قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد ابن علي الكنانى والعسقلانى ثم المصرى الشافعى، ولد سنة ٧٧٣هـ ومات سنة ٨٥٢هـ، له عدة مصنفات منها شرح البخارى وتعليق التعليق والتشويق إلى وصل التعليق والتوفيق وتهذيب التهذيب، وتقريب التهذيب ولسان الميزان والإصابة فى تمييز الصحابة ونكت ابن الصلاح وأسباب النزول وتعجيل المذمعة برجال الأربعة والمدرج والمقرب فى المضطرب وغيرها.

(٥١) هو عبد الله بن مسعود أبو عبد الرحمن الهذلى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه وأحد السابقين الأولين ومن كبار البدرين ومن تلاء الفقهاء المقرنين كان ممن يتحرى فى الأداء، ويشدد فى الرواية ويؤجر-

لم أر رجلا كان أكثر سؤالا لرسول الله ﷺ منه : يا رسول الله رأيت أبويك في النار؟ فقال ما سألتهما ربي فيعطيني فيهما وإنى لقائم يومئذ المقام المحمود. فهذا الحديث يشعر بأنه مرتج لهما الخير عند قيامه المقام المحمود، وذلك بأن يشفع لهما فيوفقا للطاعة إذا امتحنا حينئذ كما يمتحن أهل الفترة، ولا شك في أنه يقال عند قيامه ذلك المقام سل تعط واشفع تشفع، كما في الأحاديث الصحيحة فإذا سأل ذلك أعطيه.

والأمر الثاني : ما أخرجه ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ (٥٢) قال من رضى محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار، ولهذا عمم الحافظ ابن حجر في قوله : الظن بأهل بيته كلهم أن يطيعوا عند الامتحان. وحديث ثالث أخرج أبو سعيد في (شرف النبوة) والملا في سيرته عن عمران بن حصين (٥٣) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سألت ربي أن لا يدخل النار أحدا من أهل بيتي فأعطاني ذلك.

تلامذته عن التهاون في ضبط الألفاظ. وكان من أوعية العلم وأئمة الهدى. مات بالمدينة سنة ٣٢٢هـ.

(٥٢) ٥٠ ك الضحى ٩٢

(٥٣) هو عمران بن حصين أبو نجيذ الخزاعي، كان ممن بعثهم عمر بن الخطاب إلى أهل البصرة ليفقههم، وولى قضاء البصرة وكان الحسن يحلف بالله ما قدم البصرة أحد خير لهم من عمران بن حصين، حدث عنه زرارة والحسن ومحمد ابن سيرين وآخرون. مات سنة ٥٢هـ.

أورده الحافظ محب الدين الطبري^(٥٤) في كتابه (ذخائر العقبى) وحديث رابع أصرح من هذين أخرج تميم الداري^(٥٥) في فوائده بسند ضعيف عن ابن عمر^(٥٦) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي أبي طالب وأخ لي كان في الجاهلية . أورده المحب الطبري ، وهو من الحفاظ والفقهاء في (كتاب ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى) وقال إن ثبت فهو مؤول في أبي طالب على ما ورد في الصحيح من تخفيف العذاب عنه بشفاعته ، انتهى . وإنما احتيج إلى تأويله في أبي طالب دون ثلاثة أبيه وأمه وأخيه يعنى من الرضاة لأن أبا طالب أدرك البعثة ولم يسلم ، والثلاثة ماتوا في الفترة ، وقد ورد هذا الحديث من طريق آخر أضعف من هذا الطريق من حديث ابن عباس أخرجه أبو نعيم وغيره وفيه التصريح بأن الأخ

(٥٤) هو المحب الطبري الإمام المحدث فقيه الحرم أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر المكي الشافعي . مصنف الأحكام الكبرى وشيخ الشافعية ومحدث الحجاز ، ولد سنة ٦١٥ هـ وسمع من ابن المقبر وابن الجميز وشعيب الزعفراني ، ومات سنة ٦٩٤ هـ .

(٥٥) له ترجمة وافية في تهذيب التهذيب .

(٥٦) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن العدوي المدني الفقيه أحد الأعلام في العلم والعمل شهد الخندق ، وهو من أهل بيعة الرضوان ، وممن كان يصلح للخلافة . فعين لذلك يوم الحكمين مع وجود مثل الإمام على وفتح العراق سعد ونحوهما رضى الله عنهما . ومناقبه جمة أثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ووصفه بالصالح . مات سنة ٧٤ هـ .

من الرضاغة عدة يشد بعضها بعضا فإن الحديث الضعيف يتقوى
بكثرة طرقه وأمثلها حديث ابن مسعود فإن الحاكم صححه ، ومما يلضم
إلى ذلك وإن لم يكن صريحا في المقصود ما أخرجه الديلمي^(٥٧) عن
ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أول من أشفع له يوم
القيامة أهل بيتي ثم الأقرب فالأقرب . وما أورده المحب الطبري في
(ذخائر العقبى) وعزاه لأحمد في المناقب عن علي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : يا معشر بني هاشم والذي بعثني بالحق نبيا لو
أخذت بحلقة الجنة ما بدأت إلا بكم . وما أورده أيضا وعزاه لابن جرير
عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما بال
أقوام يزعمون أن رحمتي لا تنفع ، بل حتى يبلغ حاكم وهم أحد
قبيلتين^(٥٨) من اليمن إني لأشفع حتى إن من أشفع له ليشفع فليشفع
حتى إن إبليس ليتناول طمعا في الشفاعة .

لطيفة

نقل الزركشي في الخادم عن ابن دحية^(٥٩) أنه جعل من أنواع
الشفاعات التخفيف عن أبي لهب في كل يوم اثنين لسروره بولادة

(٥٧) له ذكر وترجمة في تهذيب التهذيب .

(٥٨) ورد في الأصل قبيلة

(٥٩) هو الحافظ الكبير أبو الخطاب عمر بن حسن بن علي بن محمد بن فرج بن

خلف الأندلسي الداني السبتي ، ثقة مات سنة ٦٣٣ هـ .

النبى صلى الله عليه وسلم وإعتاقه ثوبية حين بشر به، قال : وإنما هي كرامة له صلى الله عليه وسلم.

تنبيه

ثم رأيت الإمام أبا عبد الله محمد بن خلف الأبى بسط الكلام على هذه المسألة في (شرح مسلم) عند حديث إن أبى وأباك في النار. وأورد قول النووي فيه أن من مات كافراً في النار ولا تنفعه قرابة الأقربين ثم قال : قلت : انظر هذا الإطلاق، وقد قال السهيلي^(٦٠) ليس لنا أن نقول ذلك فقد قال صلى الله عليه وسلم : لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات.

وقال الله تعالى ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله ﴾^(٦١) ولعله يصبح ما جاء أنه صلى الله عليه وسلم سأل الله سبحانه فأحيا له أبويه فأما، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فوق هذا ولا يعجز الله سبحانه شيء، ثم أورد قول النووي وفيه أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان في النار وليس هذا من التعذيب قبل بلوغ الدعوة لأنه بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الرسل، ثم قال قلت :

(٦٠) هو الحافظ أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي صاحب الروض الأنف والتعريف في مهمات القرآن. ولد سنة ٥٠٨ هـ ومات سنة ٥٨١ هـ، سمع من ابن العربي ومثاقفة وأخذ اللغة والأدب عن ابن الطراوة والقراءات عن أبي داود الصغير سليمان بن يحيى.

(٦١) ٥٧م الأحزاب ٣٣

تأمل ما فى كلامه من التناقى فإن بلغتهم الدعوة ليسوا بأهل الفترة فإن أهل الفترة هم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول ولا أدركوا الثانى كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى ولا لحقوا النبى صلى الله عليه وسلم، والفترة بهذا التفسير ما بين كل رسولين، ولكن الفقهاء إذا تكلموا فى الفترة فإنما يعنون التى بين عيسى والنبى صلى الله عليه وسلم، وإما دلت القواطع على أنه لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا أنهم غير معذبين.

فإن قلت : صحت أحاديث بتعذيب أهل الفترة كصاحب الحجن وغيره . قلت : أجاب عن ذلك عقيل بن أبى طالب بثلاثة أجوبة : الأول : أنها أخبار آحاد فلا تعارض القاطع . الثانى : قصر التعذيب على هؤلاء والله أعلم بالسبب . الثالث : قصر التعذيب فى هذه الأحاديث على من بدل وغير الشرائع وشرع من الضلال ما لا يعذر به ، فإن أهل الفترة ثلاثة أقسام :

الأول : من أدرك التوحيد ببصيرته ثم من هؤلاء من لم يدخل فى شريعة كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل، ومنهم من دخل بشريعة قائمة للرسل كتبع وقومه .

القسم الثانى : من بدل وغير وأشرك ولم يوحى وشرع لنفسه فحلل وحرم، وهم الأكثر كعمرو بن لحي أول من سن للعرب عبادة الأوثان وشرع الأحكام فبحر البحيرة وسبب السائبة ووصل الوصيلة وحمى

الهامي. وزادت طائفة من العرب على ما شرعه أن عبدوا الجن والملائكة وخرقوا البنين والبنات واتخذوا بيوتا لها سدنة وحجابا يضاهون الكعبة كاللات والعزى ومناة.

القسم الثالث : من لم يشرك ولم يوجد ولا دخل في شريعة نبي ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع ديناً بل بقي عمره على حال غفلة عن هذا كله، وفي الجاهلية من كان كذلك.

فإذا انقسم أهل الفترة إلى ثلاثة أقسام فيحمل من صح تعذيبه على أهل القسم الثاني لكفرهم بما لا يعذرون به، وأما القسم الثالث فهم أهل الفترة حقيقة، وهم غير معذبين للقطع كما تقدم، وأما القسم الأول فقد قال صلى الله عليه وسلم في كل من قس وزيد أنه يبعث أمة وحده، وأما تبع ونحوه فحكمهم حكم أهل الدين الذين دخلوا فيه ما لم يلحق أحد منهم الإسلام الناسخ لكل دين. انتهى ما أورده الأبي.

المسلك الثاني

أنهما لم يثبت عنهما شرك بل كانا على الحنيفية دين جدهما إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام. كما كان على ذلك طائفة من العرب كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وغيرهما، وهذا المسلك ذهب إليه طائفة منهم الإمام فخر الدين الرازي فقال في كتابه (أسرار

(التنزيل) ما نصه قيل : إن أزر لم يكن والد إبراهيم بل كان عمه ،
 واحتجوا عليه بوجوه . منها : أن آباء الأنبياء ما كانوا كفارا ويدل عليه
 وجوه . منها قوله تعالى ﴿ الذي يراك حين تقوم * وتقلبك في
 الساجدين ﴾ (٦٢) قيل معناه أنه كان ينقل نوره من ساجد إلى ساجد
 وبهذا التقدير الآية دالة على أن جميع آباء محمد صلى الله عليه وسلم
 كانوا مسلمين ، وحينئذ يجب القطع بأن والد إبراهيم ما كان من
 الكافرين ، إنما ذاك عمه ، أقصى ما في الباب أن يحمل قوله تعالى
 ﴿ وتقلبك في الساجدين ﴾ على وجوه أخرى ، وإذا وردت الروايات بالكل
 ولا منافاة بينها وجب حمل الآية على الكل ، ومنى صح ذلك ثبت أن
 والد إبراهيم ما كان من عبدة الأوثان . ثم قال : ومما يدل على أن آباء
 محمد ما كانوا مشركين قوله عليه الصلاة والسلام : لم أزل أنقل من
 أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات . وقال تعالى ﴿ إنما المشركون
 نجس ﴾ (٦٣) . فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركا . هذا كلام
 الإمام فخر الدين الرازي بحروفه ونهايك به إمامة وجلالة فإنه إمام
 أهل السنة في زمانه والقائم بالرد على الفرق المبتدعة في وقته
 والناصر لمذهب الأشاعرة في عصره ، وهو العالم المبعوث على رأس
 المائة السادسة لهذه الأمة يجدد لها أمر دينها . وعندى في نصرة هذا
 المسلك وما ذهب إليه الإمام فخر الدين أمور أحدها : دليل استنبطه

(٦٢) ٢١٨، ٢١٩ ك الشعماء ٢٦

(٦٣) ٢٨ م التوبة ٩

مركب من مقدمتين : الأولى : أن الأحاديث الصحيحة دلت على أن كل أصل من أصول النبي صلى الله عليه وسلم من آدم إلى أبيه عبد الله فهو خير أهل قرنه وأفضلهم ولا أحد في قرنه ذلك خير منه ولا أفضل . الثانية : أن الأحاديث والآثار دلت على أنه لم تخل الأرض من عهد نوح أو آدم إلى بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن تقوم الساعة من ناس على الفترة يعبدون الله ويوحدونه ويصلون له، وبهم تحفظ الأرض ولولاهم لهلكت الأرض ومن عليها. وإذا قرنت بين هاتين المقدمتين أنتج منها قطعاً بأن آباء النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن فيهم مشرك لأنه قد ثبت في كل منهم أنه خير قرنه، فإن كان الناس الذين على الفترة هم آباؤهم فهو المدعى وإن كان غيرهم وهم على الشرك لزم أحد الأمرين إما أن يكون المشرك خيراً من المسلم وهو باطل بالإجماع، وإما أن يكون غيرهم خيراً منهم وهو باطل لمخالفته الأحاديث الصحيحة، فوجب قطعاً ألا يكون فيهم مشرك ليكونوا خير أهل الأرض في كل قرنه.

ذكر أدلة المقدمة الأولى

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه . وأخرج البيهقي في دلائل النبوة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما فأخرجت من بين أبوي فلم يصبني

شيء من عهد الجاهلية، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من
 لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي فأنا خيركم نفسا وخيركم أبا.
 وأخرج أبو نعيم في (دلائل النبوة) من طرق عن ابن عباس قال قال
 النبي صلى الله عليه وسلم : لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى
 الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما.
 وأخرج مسلم والترمذي وصححه عن واثلة بن الأسقع قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم : إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل
 واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا
 واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم. وقد أخرجه
 الحافظ أبو القاسم حمزة بن يوسف^(٦٤) السهمي في (فضائل العباس)
 من حديث واثلة بلفظ : إن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم واتخذ
 خليلا واصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ثم اصطفى من ولد إسماعيل
 نزارا ثم اصطفى من ولد نزار مضر ثم اصطفى من مضر كنانة ثم
 اصطفى من كنانة قريشا ثم اصطفى من قريش بنى هاشم ثم اصطفى
 من بنى هاشم بنى عبد المطلب ثم اصطفاني من بنى عبد المطلب.
 أورده المحب الطبري في (ذخائر العقبى).

(٦٤) هو الفقيه الإمام حمزة بن يوسف بن إبراهيم بن موسى السهمي الجرجاني
 من ذرية هشام بن العاص، سمع ابن عدي وابن المقرئ والإسماعيلي، ثقة
 مات سنة ٤٢٧ هـ.

وأخرج ابن سعد (٦٥) في طبقاته عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير العرب مضر وخير مضر بنو عبد مناف وخير بنى عبد مناف بنو هاشم وخير بنى هاشم بنو عبد المطلب، والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت في خيرهما.

وأخرج الطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله خلق الخلق فاختار من بنى آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بنى هاشم واختارنى من بنى هاشم فأنا خيار إلى خيار.

وأخرج الترمذى (٦٦) وحسنه والبيهقي عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله حين خلقنى جعلنى خير خلقه ثم حين خلق القبائل جعلنى من خيرهم قبيلة وحين خلق الأنفس جعلنى من خير أنفسهم ثم حين خلق البيوت جعلنى من خير بيوتهم فأنا خيرهم بيتا وخيرهم نفسا.

(٦٥) هو محمد بن سعد بن منيع البصرى الحافظ كاتب الواقدى نزيل بغداد، روى عن أبى داود الطيالسى والواقدى وهشيم وابن عيينة والوليد بن مسلم وخلق، وعنه أبو بكر بن أبى الدنيا والحارث بن أسامة، ثقة مات سنة ٢٣٠ هـ.

(٦٦) هو أبو عيسى الترمذى محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك السلمى صاحب الجامع والعلل، روى عنه محمد بن المنذر شكر والهيثم بن كليب وأبو العباس المحبوبي مات سنة ٢٧٩ هـ.

وأخرج الطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسما ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة، ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا.

وأخرج أبو علي بن شاذان (٦٧) فيما أورده المحب الطبري في (ذخائر العقبى) وهو في مسند البزار عن ابن عباس قال : دخل ناس من قريش على صفية بنت عبد المطلب فجعلوا يتفاخرون ويذكرون الجاهلية، فقالت صفية منا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تنبت النخلة أو الشجرة في الأرض اللبا، فذكرت ذلك صفية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب، وأمر بلالا فنادى في الناس فقام على المنبر فقال : أيها الناس من أنا قالوا أنت رسول الله قال انصبوني قالوا محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب، قال : فما بال أقوام ينزلون أصلي فوالله إني لأفضلهم أصلا وخيرهم موضعا .

وأخرج الحاكم عن ربيعة بن الحارث (٦٨) قال : بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن قوما نالوا منه فقالوا إنما مثل محمد كمثل نخلة تنبت في الناس، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إن الله خلق خلقه

(٦٧) ثقة صاحب تصانيف روى عنه عدة علماء وفقهاء

(٦٨) هو ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم له صحبة . ثقة مات سنة ٢٣ هـ .

فجعلهم فرقتين فجعلنى فى خير الفرقتين، ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلنى فى خيرهم بيوتاً، ثم قال : أنا خيركم قبيلة وخيركم بيتاً.

وأخرج الطبرانى فى (الأوسط) والبيهقى فى (الدلائل) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال لى جبريل : قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ولم أجد بنى أب أفضل من بنى هاشم. قال الحافظ ابن حجر فى (أماليه) لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن، ومن المعلوم أن الخيرية والاصطفاء والاختيار من الله والأفضالية عنده لا تكون مع الشرك.

ذكر أدلة المقدمة الثانية

قال عبد الرزاق فى المصنف عن معمر^(٧٠) عن ابن جريج قال ابن المسيب^(٧١) قال على بن أبى طالب : لم يزل على وجه الدهر فى الأرض سبعة مسلمون فصاعداً، قلولا ذلك هلكت الأرض ومن عليها. هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ومثله لا يقال من قبل الرأى فله

(٧٠) هو معمر بن راشد الأزدي الحراني البصري نزيل اليمن أبو عروة بن أبى عمرو روى عن الأعمش ومحمد بن المنكدر وقتادة والزهرى وخلق، وعنه أيوب وعمر بن دينار وأبو إسحاق السبعي والسفيانان وشعبة. ثقة مات سنة ١٥٢ هـ وقيل ١٥٣ هـ.

(٧١) هو سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي أبو محمد المدني سيد التابعين وفقهه الفقهاء مات سنة ٩٤ هـ.

حكم الرفع، وقد أخرجه ابن المنذر في تفسيره عن الزهري (٧٢) عن عبد الرزاق به، وأخرج ابن جرير في تفسيره عن شهر بن حوشب قال: لم تبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض ويخرج بركتها إلا زمن إبراهيم فإنه كان وحده.

وأخرج ابن المنذر في تفسيره عن قتادة (٧٣) في قوله تعالى ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي ﴾ (٧٤) الآية قال ما زال لله في الأرض أولياء منذ هبط آدم ما أخلى الله الأرض لإبليس إلا وفيها أولياؤه يعملون لله بطاعته. وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر (٧٥) روى ابن القاسم (٧٦) عن مالك (٧٧) قال: بلغني

(٧٢) ورد في عدة مصادر: الزهري وهو أقرب إلى الصواب، ولكن ربما يكون ابن جرير.

(٧٣) هو قتادة بن دعامة بن قنادة السدوسي أبو الخطاب البصري الأكمه، أحد الأعلام روى عن أنس وعبد الله بن سرجس وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب والحسن البصري وابن سيرين وخلق، وعنه أبو حنيفة وأيوب وشعبة ومسلم والأوزاعي وحماد بن سلمة وأبو حنيفة، ثقة، ولد سنة ٦٠ هـ ومات سنة ١١٧ هـ.

(٧٤) ٣٨م البقرة ٢

(٧٥) هو الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النعمرى القرطبي، ولد سنة ٣٦٨ هـ ومات سنة ٤٦٣ هـ، له عدة مصنفات منها التمهيد والاستذكار والاستيعاب وفصل العلم وقبائل الرواة والكنى والمغازي والأنساب وغيرها.

(٧٦) هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد الحنفي أبو عبد الله المصري الفقيه راوية المسائل عن مالك، روى عن بكر بن معمر وابن عيينة وعدة، وعنه أبوه موسى وأصبع بن الفرغ وسحنون وآخرون، مات سنة ١٩١ هـ.

(٧٧) ورد في الموطأ.

عن ابن عباس أنه قال ، لا يزال لله في الأرض ولي ما دام فيها للشيطان ولي، (٧٨).

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في (الزهد) والخلال في (كرامات الأولياء) بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس قال : ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض . هذا أيضا له حكم الرفع .

وأخرج الأزرقي في (تاريخ مكة) عن زهير بن محمد (٧٩) قال : لم يزل على وجه الأرض سبعة مسلمون فصاعدا لولا ذلك لأهكت الأرض ومن عليها .

وأخرج الجندی (٨٠) في (فضائل مكة) عن مجاهد قال : لم يزل على الأرض سبعة مسلمون فصاعدا لولا ذلك هكت الأرض ومن عليها .

(٧٨) ورد في مفتاح كلوز السنة .

(٧٩) هو زهير بن محمد بن قميير بن شعبة المرزلي نزيل بغداد، روى عن أحمد بن حنبل وأبي ثوبة الربيع بن نافع وروح بن عباد وزكريا بن عدي والقعبي . وعنه ابن ماجه وأبو بكر البزار والحسين المحاملي وعبد الله بن أحمد بن حنبل وأبو القاسم البغوي ، ثقة مأمون مات سنة ٢٥٨ هـ .

(٨٠) له ترجمة في طبقات المفسرين .

وأخرج الإمام أحمد في (الزهد) عن كعب (٨١) قال : لم يزل بعد نوح في الأرض أربعة عشر يدفع الله بهم العذاب. وأخرج الخلال في (كرامات الأولياء) عن زاذان قال : ما خلت الأرض بعد نوح من اثني عشر فصاعدا يدفع الله بهم هم أهل الأرض.

وأخرج ابن المنذر في تفسيره بسند صحيح عن ابن جريج في قوله ﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ﴾ (٨٢) قال : فلا يزال من ذرية إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ناس على الفترة يعبدون الله، وإنما وقع التقييد في هذه الآثار الثلاثة بقوله من بعد نوح لأنه من قبل نوح كان الناس كلهم على الهدى.

وأخرج البزار في مسنده وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم في تفاسيرهم والحاكم في (المستدرک) وصححه عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾ (٨٣) قال : بين آدم ولوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلّفوا فبعث الله النبيين، قال : وكذلك هي في قراءة عبد الله بن مسعود كان الناس أمة واحدة فاختلّفوا.

وأخرج أبو يعلى والطبراني وابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن

(٨١) هو كعب الأحبار له ترجمة وافية في تهذيب التهذيب وخلاصة تهذيب الكمال.

(٨٢) ٤٠ ك إبراهيم ١٤

(٨٣) ١٩ ك يونس ١٠

عباس في قوله تعالى ﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾ قال على الإسلام كلهم.

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال : ذكر لنا أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق ثم اختلفوا بعد ذلك فبعث الله نوحا وكان أول رسول أرسله الله تعالى إلى أهل الأرض.

وأخرج ابن سعد في (الطبقات) من وجه آخر عن ابن عباس قال : ما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام.

وأخرج ابن سعد من طريق سفيان بن سعيد الثوري^(٨٤) عن أبيه عن عكرمة قال بين آدم ونوح عشرة كلهم على الإسلام. وفي التلذيل حكاية عن نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام : ﴿ رب اغفر لي ولوالدي وللمن دخل بيتي مؤمنا ﴾. وولد نوح سام مؤمن بالإجماع والنص لأنه نجا مع أبيه في السفينة ولم ينج إلا مؤمن وفي التلذيل ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ بل ورد في أثر أنه كان نبيا أخرجه ابن

(٨٤) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي أحد الأئمة الأعلام روى عن أبيه وزيد بن علاقة وحبيب بن أبي ثابت وأيوب وجعفر الصادق وخلق، وعنه ابن المبارك ويحيى القطان وعلي بن الجعد أمير المؤمنين في الحديث، ولد سنة ٩٧ هـ ومات سنة ١٦١ هـ.

سعد في (الطبقات) والزيير بن بكار^(٨٥) في (الموقفيات) وابن عساكر^(٨٦) في (تاريخه) عن الكلبي، وولده أرفخشد صرح بإيمانه في أثر عن ابن عباس أخرجه ابن عبد الحكم^(٨٧) (في تاريخ مصر) وفيه أنه أدرك جده نوحاً وأنه دعا له أن يجعل الله الملك والنبوة في ولده، ومن ولد أرفخشد إلى تاريخ ورد التصريح بإيمانهم في أثر. أخرج ابن سعد في (الطبقات) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن نوحاً على نبينا وعليه الصلاة والسلام لما هبط من السفينة هبط إلى قرية فبنى كل رجل منهم بيتاً فسميت سوق الثمانين، ففرق بنو قابيل كلهم وما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام، فلما ضاقت بهم

(٨٥) هو الزيير بن بكار بن عبد الله بن مصعب الزييري الأسدي المنفي قاضي مكة روى عن إبراهيم بن المنذر وإسماعيل بن أبي أويس وأبي ضمرة أنس بن عياض وابن عبيدة، وعنه ابن ماجه وثلث النجوى والحسن بن إسماعيل المحاملي وابن أبي الدنيا، ألف كتاب السنن وأخبار المدينة، مات سنة ٢٥٦ هـ.

(٨٦) هو الإمام الكبير ثقة الدين علي بن الحسن بن هبة الله بن الحسين الدمشقي الشافعي صاحب تاريخ دمشق وأطراف السنن الأربعة وعوالي مالك وغرائب مالك وفضل أصحاب الحديث ومناقب الشبان وعوالي الثوري ومسدأهل داريا وتاريخ المزة. ولد سنة ٤٩٩ هـ ومات سنة ٥٧١ هـ هو إمام المحدثين في وقته، انتهت إليه الرئاسة في الحفظ والإتقان والثقة والمعرفة التامة، وإليه ختم هذا الشأن.

(٨٧) هو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري الفقيه، روى عن أبيه والشافعي والقنطري وخلق. وعنه النجاشي ووثقه. مات سنة ٢٦٨ هـ.

سوق الثمانين تحولوا إلى بابل فبنوها فكثروا بها حتى بلغوا مائة ألف وهم على الإسلام، ولم يزالوا على الإسلام وهم ببابل حتى ملكهم نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح، فدعاهم نمرود إلى عبادة الأوثان ففعلوا.

هذا لفظ الأثر فعرف من مجموع هذه الآثار أن أجداد النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين بيقين من آدم إلى زمن نمرود وفي زمنه كان إبراهيم عليه السلام وأزر فإن كان أزر والد إبراهيم فيستلنى من سلسلة النسب، وإن كان عمه فلا استثناء في هذا القول أعنى أن أزر ليس أبا إبراهيم كما ورد عن جماعة من السلف. أخرج ابن أبي حاتم بسند ضعيف عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرِ﴾ (٨٨) قال إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه أزر وإنما كان اسمه تارخ .

وأخرج ابن أبي شيبة (٨٩) وابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق بعضها صحيح عن مجاهد قال: ليس أزر أبا إبراهيم .

وأخرج ابن المنذر بسند صحيح عن ابن جريج في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرِ﴾ قال ليس أزر بأبيه إنما هو إبراهيم بن تيرخ

(٨٨) ٧٤ك الأنعام ٦

(٨٩) هو أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العيسى مولاهم الكوفي الحافظ، روى عن شريك وهشيم وابن المبارك وابن عيينة وغندر وخلق، وعنه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه وأبو زرعة وأبو حاتم وأبو يعلى وخلق. مات سنة ٢٣٥هـ .

أوتارخ بن شارخ بن ناخور بن قاطم.

وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن السدي (٩٠) أنه قيل له اسم أبي إبراهيم آزر فقال بل اسمه تارخ. وقد وجه من حيث اللغة بأن العرب كانوا يطلقون لفظ الأب على العم إطلاقاً شائعاً، وإن كان مجازاً وفي (التنزيل) « أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق » وأطلق على إسماعيل لفظ الأب وهو عم يعقوب كما أطلق على إبراهيم وهو جده.

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه كان يقول الجد أب ويتلو: « قالوا نعبد إلهك وإله آبائك » وأخرج عن أبي العالية في قوله تعالى « وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل » قال سمي العم أبا.

وأخرج عن محمد بن كعب القرظي قال : الخال والد والعم والد، وتلا هذه الآية، فهذه أقوال السلف من الصحابة والتابعين في ذلك، ويرشحه ما أخرجه ابن المنذر في تفسيره بسند صحيح عن سليمان بن صرد (٩١) قال : لما أريدوا أن يلقوا إبراهيم في النار جعلوا بجمعون

(٩٠) له ترجمة وأفيه في تهذيب التهذيب.

(٩١) هو سليمان بن صرد بن الجون أبو مطرف الكوفي له صحبة، روى عنه أبو إسحاق السبيعي ويحيى بن يعمر وعدى بن ثابت وعبد الله بن يسار الجهلي ثقة مات سنة ٩٣ هـ.

الحطاب حتى إن كانت العجوز لتجمع الحطاب فلما أرادوا أن يلقوه في النار قال : حسبى الله ونعم الوكيل : فلما ألقوه قال الله : يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم . فقال عم إبراهيم : من أجلى دفع عنه فأرسل الله عليه شرارة من النار فوقعت على قدمه فاحترقته . فقد صرح في هذا الأثر أن آزر عم إبراهيم وفيه فائدة أخرى ، وهي أنه هلك في أيام إلقاء إبراهيم في النار ، وقد أخبر الله سبحانه في القرآن بأن إبراهيم ترك الاستغفار له لما تبين له أنه عدو لله ، ووردت الآثار بأن ذلك تبين له لما مات مشركا وأنه لم يستغفر له بعد ذلك .

وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس قال : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات . فلما تبين له أنه عدو لله فلم يستغفر له .

وأخرج عن محمد بن كعب^(٩٢) وقتادة ومجاهد والحسن^(٩٣) وغيرهم

(٩٢) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي أبو حمزة وقيل أبو عبد الله المدني من خلفاء الأوس ، روى عن العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وابن مسعود وعمرو بن العاص وأبي ثر وأبي الدرداء ، وهو من أفاضل أهل المدينة علما وفقها وكان يقص في المسجد فسقط عليه وعلى أصحابه سقف فمات هو وجماعة سنة ١٠٨ هـ وقيل سنة ١١٨ هـ .

(٩٣) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري أبو سعيد مولى زيد بن ثابت وقيل جابر بن عبد الله وقيل أبو اليسر ، ثقة مات سنة ١١٠ هـ .

قالوا : كان يرجوه في حياته فلما مات على شركه تبرأ منه ثم هاجر إبراهيم عقيب واقعة النار إلى الشام كما نص الله على ذلك في القرآن، ثم بعد مدة من مهاجره دخل مصر واتفق له فيها مع الجبار ما اتفق بسبب سارة وأخدمه هاجر ثم رجع إلى الشام ثم أمره الله بنقلها وولدها إسماعيل إلى مكة فنقلهما ودعا، فقال ﴿ ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع ﴾ إلى قوله ﴿ ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴾ . فاستغفر لوالديه، وذلك بعد هلاك عمه بمدة طويلة، فيستنبط من هذا أن المذكور في القرآن بالكفر والتبرى من الاستغفار هو عمه لا أبوه الحقيقى، فله الحمد على ما ألهم .

روى ابن سعد فى (الطبقات) عن الكلبي قال : هاجر إبراهيم من بابل إلى الشام وهو يومئذ ابن سبع وثلاثين فأتى حران فأقام بها زمانا ثم أتى إلى الأردن فأقام بها زمانا، ثم خرج إلى مصر فأقام بها زمانا، ثم رجع إلى الشام فنزل السبع هى أرض بين إيلياء وفلسطين ثم إن بعض أهل البلد آذوه فتحول من عندهم فنزل منزلا بين الرملة وإيلياء .

روى ابن سعد عن الواقدي^(٩٤) قال : ولد لإبراهيم إسماعيل وهو ابن تسعين سنة فعرف من هذين الأثرين أن بين هجرته من بابل عقيب واقعة النار وبين الدعوة التى دعا بها بمكة بضعا وخمسين سنة .

(٩٤) هو محمد بن عمر بن واقد الواقدي الأسلمى مولاهم المذنبى قاضى بغداد روى عن الثوري والأوزاعي وابن جرير، وعنه الشافعى ومحمد بن سعد كاتبه وأبو عبيد القاسم . مات سنة ٢٠٧ هـ .

ثم استمر التوحيد في ولد إبراهيم وإسماعيل، قال الشهرستاني في (الملل والنحل) كان دين إبراهيم قائما والتوحيد في صدر العرب شائعا، وأول من غيره واتخذ عبادة الأصنام عمرو بن لحي. قلت : وقد صح بذلك الحديث إذ أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة على قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار، كان أول من سيب السوائب.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن أول من سيب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر وإنني رأيته يجر أمعاءه في النار. وأخرج ابن إسحاق وابن جرير في تفسيرهما عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن جلدب يجر قصبه في النار، إنه أول من غير دين إبراهيم.

ولفظ ابن إسحاق: إنه كان أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي. وله طرق أخرى.

وأخرج البزار في مسنده بسند صحيح عن أنس^(٩٥) قال : كان الناس بعد إسماعيل على الإسلام، وكان الشيطان يحدث الناس بالشيء يريد أن

(٩٥) سبق التعليق عليه.

يردهم عن الإسلام حتى أدخل عليهم في التلبية لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك، قال فما زال حتى أخرجهم عن الإسلام إلى الشرك.

قال السهيلي في (الروض الأنف) كان عمرو بن لحي حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة قد جعلته العرب ربا لا شرع لهم بدعة إلا أخذوها بسرعة، لأنه كان يطعم الطعام ويكسو في الموسم. وقد ذكر ابن إسحاق أنه أول من أدخل الأصنام الحرم وحمل الناس على عبادتها، وكانت التلبية من عهد إبراهيم لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، حتى كان عمرو بن لحي فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ فلبى معه فقال عمرو: لبيك لا شريك لك. فقال الشيخ إلا شريكا هو لك، فأنكر ذلك عمرو وقال: وما هذا، فقال: الشيخ قل تملكه وما ملك، فإنه لا بأس بهذا، فقالها عمرو ودانت بها العرب، انتهى الكلام السهيلي.

وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير^(٩٦) في (تاريخه) كانت العرب على دين إبراهيم إلى أن ولي عمرو بن عامر الخزاعي مكة وانتزع ولاية البيت من أجداد النبي صلى الله عليه وسلم، فأحدث عمرو المذكور عبادة الأصنام وشرع للعرب الضلالات من السوائب وغيرها

(٩٦) صاحب التفسير ومسدد الشيخين وعلوم الحديث وطبقات الشافعية مات سنة

وزاد في التلبية بعد قوله لبيك لا شريك لك، قوله، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. وهو أول من قال ذلك، وتبعته العرب على الشرك فشابهوا بذلك قوم نوح وسائر الأمم المتقدمة، وفيهم على ذلك بقايا من دين إبراهيم. وكانت مدة ولاية خزاعة على البيت ثلاثمائة سنة، وكانت ولايتهم مشنومة إلى أن جاء قصي جد النبي صلى الله عليه وسلم فقاتلهم واستعان على حربهم بالعرب، وانتزع ولاية البيت منهم. إلا أن العرب بعد ذلك لم ترجع عما كان أحدثه لها عمرو الخزاعي من عبادة الأصنام وغير ذلك. لأنهم رأوا ذلك ديناً في نفسه لا ينبغي أن يغير. انتهى، فثبت أن آباء النبي صلى الله عليه وسلم من عهد إبراهيم إلى زمان عمرو المذكور كلهم مؤمنون ببيقين. ونأخذ في الكلام على الباقي وعلى زيادة توضيح لهذا القدر.

الأمر الثاني : مما تلتصر لهذا المسلك آيات وآثار في ذرية إبراهيم وعقبه، الأولى : وهي أصرحها قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ أخرج عبد بن حميد في تفسيره بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ قال : لا إله إلا الله باقية في عقب إبراهيم.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ قال : لا إله إلا الله. وقال

عبد بن حميد حدثنا يونس^(٩٧) عن شيبان^(٩٨) عن قتادة في قوله تعالى
﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾ قال شهادة أن لا إله إلا الله
والتوحيد لا يزال في ذرية من يقولها بعده .

وقال عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن قتادة في قوله تعالى
﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾ قال : الإخلاص والتوحيد ، لا يزال
في ذريته من يوحد الله ويعبده . أخرجه ابن المنذر ثم قال وقال ابن
جريج في الآية : في عقب إبراهيم ، فلم يزل بعد في ذرية إبراهيم من
يقول لا إله إلا الله . قال آخر فلم يزل ناس من ذريته على الفطرة
يعبدون الله تعالى حتى تقوم الساعة .

وأخرج عبد بن حميد عن الزهري في الآية قال : العقب ولده
الذكور والإناث وأولاد الذكور . وأخرج عن عطاء قال : العقب ولده
وعصبته .

الآية الثانية : قوله تعالى ﴿ وإذا قال إبراهيم رب اجعل هذا
البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ﴾ وأخرج ابن جرير في

(٩٧) هو يونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري ، روى عن ابن عيينة والشافعي
وابن وهب وخلق ، وعنه مسلم والنسائي وابن ماجه وأبو زرعة وأبو حاتم وخلق .
(٩٨) هو شيبان بن عبد الرحمن التيمي مولاهم أبو معاوية البصري روى عن
الحسن وابن سيرين وقاتادة ومنصور وعدة . مات ١٦٤ هـ . ثقة ، روى عنه زائدة
وابن مهدي وأبو الدنور وآخرون .

تفسيره عن مجاهد في هذه الآية قال : فاستجاب الله لإبراهيم دعوته في ولده فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته في ولده واستجاب الله له وجعل هذا البلد آمنا ورزق أهله من الثمرات وجعله إماما وجعل من ذريته من يقيم الصلاة . وأخرج البيهقي في (شعب الإيمان) عن وهب بن منبه أن آدم لما أهبط إلى الأرض استوحش فذكر الحديث بطوله في قصة البيت الحرام، وفيه من قول الله لآدم في حق إبراهيم عليهما السلام وأجعله أمة قانتا بأمرى داعيا إلى سبيلي أجتبيه وأهديه إلى صراط المستقيم، أستجيب دعوته في ولده وذريته من بعده وأشفعه وأجعلهم أهل ذلك البيت وولاته وحمامته. الحديث. هذا الأثر موافق لقول مجاهد المذكور آنفا، ولا شك أن ولاية البيت كانت معروفة بأجداد النبي صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر ذرية إبراهيم إلى أن انتزعها منهم عمرو الخزاعي، ثم عادت إليهم فعرف أن كل ما ذكر عن ذرية إبراهيم من خير فإن أولى الناس به سلسلة الأجداد الشريفة الذين خصوا بالاصطفاء، وانتقل إليهم نور النبوة واحدا بعد واحد، فهم أولى بأن يكونوا هم البعض المشار إليهم في قوله ﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينة أنه سئل : هل عبد أحد من ولد إسماعيل الأصنام. قال : لا، ألم تسمع قوله ﴿ واجتنبني وبنني أن نعبد الأصنام ﴾ قيل فكيف لم يدخل ولد إسحاق وسائر ولد إبراهيم

قال لأنه دعا لأهل هذا البلد أن لا يعبدوا إذ أسكنهم إياه . فقال اجعل هذا البلد آمناً ، ولم يدع لجميع البلدان بذلك ، فقال : واجتنبني وبنى أن نعبد الأصنام فيه ، وقد خص أهله وقال : ربنا إنني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة . فانظر إلى هذا الجواب من سفيان بن عيينة ، وهو أحد الأئمة المجتهدين ، وهو شيخ إمامنا الإمام الشافعي رضي الله عنهما .

الآية الثالثة : قوله تعالى حكاية عن إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ﴾ وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله ﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ﴾ . قال فلن تزال من ذرية إبراهيم ناس على الفترة يعبدون الله تعالى .

الآية الرابعة : أخرج أبو الشيخ في تفسيره عن زيد بن علي قال قالت سارة لما بشرتها الملائكة ﴿ يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب ﴾ فقالت الملائكة ترد على سارة : ﴿ أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ﴾ . قال فهو كقوله تعالى ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾ فمحمد وآله من عقب إبراهيم داخل في ذلك .

وقد أخرج ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس قال : كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة وأصلة على ملة إبراهيم فلا تذكرهم إلا بخير .

وذكر أبو جعفر الطبري وغيره أن الله أوحى إلى أرميا أن اذهب إلى بخت نصر وأعلمه أنني قد سلطته على العرب وأمر الله أرميا أن يحتمل معه معد بن عدنان على البراق كي لا يصيبه الذقمة فإني مستخرج من صلبه نبيا كريما أختتم به الرسل، ففعل أرميا ذلك واحتمل معدا إلى أرض الشام فنشأ مع بني إسرائيل ثم عاد بعد أن هدأت الفتن.

وأخرج ابن سعد (في الطبقات) من مرسل عبد الله بن خالد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تسبوا مضر فإنه كان قد أسلم.

وقال السهيلي في (الروض الأنف) في الحديث المروي : لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مؤمنين . قلت : وقفت عليه مستندا . وأخرجه أبو بكر محمد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع^(٩٩) (في كتاب الغرر) من الأخبار، وقال حدثنا إسحاق بن داود بن عيسى المروزي أبو يعقوب الشعراني، قال حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي^(١٠٠) قال حدثنا عثمان بن قائد عن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن إسماعيل بن محمد ابن سعد بن أبي وقاص عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تسبوا ربيعة ولا مضر فإنهما كانا مسلمين . وأخرج بسنده عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه

(٩٩) هو صاحب كتاب أخبار القضاة .

(١٠٠) هو سليمان بن عبد الرحمن بن عيسى التميمي الدمشقي أبو أيوب، ثقة مات

سنة ٢٣٢ هـ .

وسلم قال : لا تسبوا نبيهما وضبة فإنهم كانوا مسلمين . وأخرج بسنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تسبوا قيسا فإنه كان مسلما . ثم قال السهيلي : ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تسبوا إلياس فإنه كان مسلما مؤمنا ، وذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم بالحج . قال وكعب بن لؤي أول من جمع يوم العروبة ، وقيل هو أول من سماها الجمعة فكانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ويعلمهم أنه من ولده ويأمرهم باتباعه والإيمان به ، وينشد في هذا أبياتا منها قوله :

يا ليتني شاهد نجواء دعوته إذا قريش تبغى الحق خذلانا

قال وقد ذكر الماوردي هذا الخبر عن محمد بن كعب في (كتاب الأعلام) له ، انتهى . قلت : هذا الخبر أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) بسنده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وفي آخره وكان بين موت كعب ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وستون سنة . والماوردي المذكور هو أحد أئمة أصحابنا وهو صاحب (الحاوي الكبير) له كتاب (أعلام النبوة) في مجلد كثير الفوائد ، وقد رأيته وسأقل منه في هذا الكتاب ، فحصل مما أوردناه أن آباء النبي صلى الله عليه وسلم من عهد إبراهيم إلى كعب بن لؤي كانوا كلهم على دين إبراهيم ، وولد كعب بن مرة الظاهر أنه كذلك لأن آباء أوصاء

بالإيمان وبقي بينه وبين عبد المطلب أربعة آباء وهم كلاب وقصى
وعبد مناف وهاشم، ولم أظفر فيهم بنقل لا هذا ولا بهذا وأما عبد المطلب
ففيه ثلاثة أقوال، أحدها : وهو الأشبه أنه لم تبلغه الدعوة لأجل الحديث
الذي في البخاري وغيره . والثاني : أنه كان على التوحيد وملة إبراهيم
وهو ظاهر عموم الإمام فخر الدين، وما تقدم عن مجاهد وسفيان بن
عيينة وغيرهما في تفسير الآيات السابقة . والثالث : أن الله أحياء بعد
بعثة النبي صلى الله عليه وسلم حتى آمن به وأسلم ثم مات . حكاه ابن
سيد الناس، وهذا أضعف الأقوال وأسقطها وأوهاها لأنه لا دليل عليه ولم
يرد قط في حديث لا ضعيف ولا غيره، ولا قال بهذا القول أحد من
أئمة السنة إنما حكوه عن بعض الشيعة، ولهذا اقتصر غالب المصنفين
على حكاية القولين وسكتوا عن حكاية الثالث لأن خلاف الشيعة لا يعتد
به .

قال السهيلي في (الروض الأنف) وفي الصحيح أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم دخل على أبي طالب عند موته وعنده أبو جهل
وابن أبي أمية وقال : يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند
الله، فقال له أبو جهل وابن أبي أمية أترغب عن ملة عبد المطلب،
فقال : أنا على ملة عبد المطلب . قال : وظاهر هذا الحديث يقتضي
أن عبد المطلب مات على الشرك، قال ووجدت في بعض كتب
المسعودي اختلافا في عبد المطلب وأنه قد قيل فيه مات مسلما لما
رأى من الدلائل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وعلم أنه

لا يبحث إلا بالتوحيد فالله أعلم، غير أن في (مسند البزار) و(كتاب
السنائي) من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لفاطمة وقد عزت قوما من الأنصار: لعنك بلغت معهم الكدى،
فقلت لا، فقال : لو كنت بلغت معهم الكدى ما رأيت الجنة حتى يراها
جد أبيك.

قال وقد أخرجه أبو داود ولم يذكر فيه حتى يراها جد أبيك، قال :
وفي قوله جد أبيك ولم يقل جدك تقوية للحديث الضعيف الذي قدمنا
ذكره أن الله أحيا أباه وأمه وآمنا به فالله أعلم، قال : ويحتمل أنه أراد
تخويفها بذلك لأن قوله صلى الله عليه وسلم حق وبلوغها معهم الكدى
لا يوجب خلودا في النار، هذا كله كلام السهيلي بحروقه، وقال
الشهرستاني في (الملل والنحل) ظهر نور النبي صلى الله عليه وسلم في
أسارى عبد المطلب بعض الظهور، وببركة ذلك النور ألهم النذر في ذبح
ولده، وببركته كان يأمر ولده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم
الأخلاق وينهاهم عن دنيايات الأمور، وببركة ذلك النور كان يقول في
وصاياهم إنه إن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة إلى
أنهلك رجل ظلوم لم تصبه عقوبة فليلعبد المطلب في ذلك ففكر
في ذلك فقال والله إن وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن بإحسانه
ويعاقب فيها المسييء بإساءته. وببركة ذلك النور قال لأبرهة إن لهذا
البيت ربا يحفظه، ومنه قال وقد صعد أبا قبيس :

لاهم إن المرء يمنع رحله فامنع حلاله
لا يغلبن صليبيهم ومحالهم غدوا محالك
فانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

انتهى كلام الشهرستاني ومتناسق ما ذكره ما أخرجه ابن سعد في
طبقاته عن ابن عباس قال: كانت الدية عشرا من الإبل وعبد المطلب
أول من فدى بمائة من الإبل فجرت في قريش والعرب مائة من الإبل
أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وينضم إلى ذلك أن النبي صلى
الله عليه وسلم انتسب إليه يوم حنين فقال :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وهذا أقوى ما يقوى به مقالة الإمام فخر الدين ومن وافقه لأن
الأحاديث وردت في النهي عن الانتساب إلى الآباء الكفار.

روى البيهقي في (الشعب) من حديث أبي بن كعب ومعاذ بن جبل
أن رجلين استبا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما
أنا فلان ابن فلان أنا فلان ابن فلان. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
انتسب رجلان على عهد موسى فقال أحدهما: أنا فلان ابن فلان إلى
تسعة قال الآخر أنا فلان بن فلان الإسلام فأوحى الله إلى موسى هذان
المنتسبان أما أنت أيها المنتسب إلى تسعة آباء في النار فأنت عاشرهم في
النار، وأما أنت أيها المنتسب إلى اثنين فأنت ثالثهما في الجنة.

وروى البيهقي أيضا عن أبي ریحانة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من انتسب إلى تسعة آباء كفار يريد بهم عزا وشرقا فهو عاشرهم في النار. وروى البيهقي أيضا عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تفتخروا بأبائكم الذين ماتوا في الجاهلية فوالذي نفسي بيده لما يدحرج الجعل بأنفه خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية، وروى البيهقي أيضا عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، لينتهين أقوام يفتخرون برجال إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع النتن بأنفها. والأحاديث في ذلك المعنى كثيرة.

وأوضح من ذلك في التقرير أن البيهقي أورد في (شعب الإيمان) حديث مسلم: إن في أمتي أربعا من أمر الجاهلية ليسوا بتاركيهم الفخر في الأحساب، الحديث. وقال عقبة وإن عورض هذا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم في اصطفاء بني هاشم فقد قال الحليمي: لم يرد بذلك الفخر إنما أراد تعريف منازل المذكورين ومراتبهم، كرجل يقول كان أبي فقيها لا يريد به الفخر، وإنما يريد به تعريف حاله دون ما عداه، قال: وقد يكون أراد به الإشارة بنعمة الله عليه في نفسه وآبائه على وجه الشكر، وليس ذلك من الاستطالة والفخر في شيء، انتهى.

فقوله أراد تعريف منازل المذكورين ومراتبهم أو الإشارة بنعمة الله عليه في نفسه وآبائه على وجه الشكر فيه تقوية لمقالة الإمام فخر

الدين وإجرائها على عمومها كما لا يخفى إذ الاصطفاء لا يكون إلا لمن هو على التوحيد، ولا شك أن الترجيح في عبد المطلب بخصوصه عسير جداً لأن حديث البخاري وهو الذي منع أبو جهل أبا طالب من الإيمان باستدلال ملة عبد المطلب مصادم قوى وإن أخذ في تأويله لم يوجد تأويل قريب والتأويل البعيد ياباه أهل الأصول. ولهذا لما رأى البيهقي تصادم الأدلة لم يقدر على الترجيح. فوقف، قاله أعلم. وهذا يصلح أن يعد قولاً رابعاً فيه وهو الوقف، وأكثر ما خطر لي في تأويل الحديث وجهان بعيدان فتركتهما، وأما حديث النسائي فتأويله قريب، وقد فتح السهيلي بابيه وإن لم يستوف، وإنما سهل الترجيح في جانب عبد الله مع أن فيه معارضة قويا وهو حديث مسلم لأن ما قاله السهيلي تأويل قريب في غاية الجلاء والوضوح. وقامت الأدلة على رجحان جانب التأويل فسهل المصير إليه والله أعلم. ثم رأيت الإمام أبا الحسن العاردي أشار إلى نحو ما ذكره الإمام فخر الدين إلا أنه لم يصرح فقال في كتابه (أعلام النبوة) لما كان أنبياء الله صفوة عباده وخيرة خلقه لما كلفهم من القيام بحقه، والإرشاد لخلقهم، استخلصهم من أكرم العناصر واجتباهم بمحكم الأوامر، فلم يكن لنسبهم من قدح ولمنصبهم من جرح، ليكون القلوب أصغى والنفوس لهم أوطأ فيكون الناس إلى إجاباتهم أسرع ولأوامرهم أطوع، وأن الله استخلص رسوله صلى الله عليه وسلم من أطيب المناكح، وحماه من دنس الفواحش، ونقله من أصلاب طاهرة إلى أرحام منزهة، وقد قال ابن عباس في تأويل قول الله ﴿وتقلبك في

الساجدين» أى تقلبك من أصلاب ماهرة من أب بعد أب إلى أن جعلك نبيا فكان نور النبوة ظاهرا فى آبائه ثم لم يشركه فى ولادته من أبويه أخ ولا أخت لأنهما صفوتهما إليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله للنبوة غاية ولتفرده نهاية، فيزول عنه إن شاركه فيه، ويمائل منه، فلذلك مات عنه أبواه فى صغره، فأما أبوه فمات وهو حمل وأما أمه فماتت وهو ابن ست سنين. وإذا خبرت حال نسبه وعرفت طهارة مولده علمت أنه سلالة آباء كرام ليس فى آبائه مسترذل ولا مغرور مسسبل، بل كلهم سادة قادة. وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة، انتهى. كلام الماوردى بحروفه.

وقال أبو جعفر النحاس فى (معانى القرآن) فى قوله «وتقلبك فى الساجدين» روى عن ابن عباس أنه قال: تقلبه فى الظهور حتى أخرجه نبيا وما أحسن قول الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقى:

أشعار

تنقل أحمد نورا عظيما تلالأ فى جباه الساجدين
تقلب فيهم قرنا فقرنا إلى أن جاء خير المرسلينا

وقال أيضا

حفظ الإله كرامة لمحمد آباءه الأمجاد صونا لاسمه
تركوا السفاح قلم يصيبهم عاره من آدم وإلى أبيه وأمه

وقال الشرف البوصيرى صاحب (البردة) :

كيف ترقى رقيق الأنبياء	ياسماء ما طاولتها سماء
لم يساووك فى علاك وقد	حال ثناء منك دونهم وسناء
إنما مثلوا صفاتك للناس	كما مثل النجوم الماء
أنت مصباح كل فضل فما تصدر	إلا عن صنوك الأمواء
لك ذات العلوم من عالم الغيب	ومنه لأدم الأسماء
لم يزل فى صنائر الغيب يختار	لك الأمهات والآباء
ما مضت فترة من الرسل إلا	بشرت قومها بك الأنبياء
تتباهى بك القصور وتسمو	بك علياء بعدها علياء
وبدا للوجود منك كريم	من كريم آباؤه كرماء
نسب تحسب العلى بحلاه	قلدتها نجومها الجوزاء
ومنها :	

فهدينا لآمنة الفضل	الذى شرفت به حواء
من لحواء إنها حملت أحمد	أو أنها به نفساء
يوم نالت بوضعه ابنة وهب	من فخار ما لم تنله النساء

وأنت قومها بأفضل مما حملت قبل مريم العذراء

فائدة

قال ابن أبي حاتم في تفسيره : حدثنا أبي حدثنا موسى بن أيوب
النصيبي حدثنا حمزة عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال : بين النبي
صلى الله عليه وسلم وبين آدم تسعة وأربعون أبا.

الأمر الثالث : أثر ورد في أم النبي صلى الله عليه وسلم خاصة
أخرج أبو نعيم في (دلائل النبوة) بسند ضعيف من طريق الزهري عن
أم سماعة بنت أبي رهم عن أمها قالت : شهدت آمنة أم رسول الله صلى
الله عليه وسلم في علتها التي ماتت فيها ومحمد غلام يقع له خمس
سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه ثم قالت :

بارك فيك الله من غلام	يا بن الذي من حومة الحمام
نجا بعون الملك المدعوم	فودي غداة الضرب بالسهام
بمائة من إبل سوام	إن صبح ما أبصرت في المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام	من عند ذي الجلال والإكرام
تبعث في الحل وفي الحرام	تبعث بالتحقيق والإسلام
دين أبيك البر إبراهيم	قاله أنهاك عن الأصنام

أن لا تواليا معها الأقوام

ثم قالت : كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كبير يفنى، وأنا ميتة،
وذكرى باق، وقد تركت خيرا، وولدت طهرا. ثم مانت وكذا نسمع نوح
الجن عليها فحفظنا من ذلك :

نبكى الفتاة البرة الأمينة ذات الجمال العفة الرزينة
زوجة عبد الله والقريه أم نبي الله ذى السكينة
وصاحب المنبر فى المدينة صارت لدى حفرتها رهينة
وأنت ترى هذا الكلام منها صريحا فى النهى عن موالاة الأصنام مع
الأقوام والاعتراف بدين إبراهيم، وبعث ولدها إلى الأنام من عند ذى
الجلال والإكرام بالإسلام، وهذه الألفاظ منافية للشرك، وقولها تبعت
بالتحقيق كذا هو فى النسخة، وعندى أنه تصحيف وإنما هو بالتخفيف
ثم إنى استقرأت أمهات الأنبياء عليهم السلام فوجدتهن مؤمنات فأم
إسحاق وموسى وهارون وعيسى وموسى وحواء أم شيث مذكورات فى
القرآن، بل قيل بدبوتهن ووردت الأحاديث بإيمان هاجر أم إسماعيل وأم
يعقوب وأمهم أولاده وأم داود وسليمان وزكريا ويحيى وشمويل
وشمعون وذى الكفل. ونص بعض المفسرين على إيمان أم نوح وأم
إبراهيم ورجحه ابن حبان فى تفسيره، وقد تقدم عن ابن عباس أنه لم
يكن بين نوح وآدم ولد كافر، ولهذا قال ﴿ رب اغفر لى ولوالدى
ولمن دخل بيتى مؤمنا ﴾ وقال إبراهيم ﴿ ربنا اغفر لى ولوالدى
وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴾ ولم يعتذر عن استغفار إبراهيم فى
القرآن لأبيه خاصة دون أمه فدل على أنها كانت مؤمنة.

وأخرج الحاكم في (المستدرک) وصححه عن ابن عباس قال : كانت الأنبياء من بنى إسرائيل إلا عشرة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وبنو إسرائيل كلهم كانوا مؤمنين لم يكن فيهم كافر إلى أن بعث عيسى فكفر به من كفر، فأمهات الأنبياء الذين من بنى إسرائيل كلهن مؤمنات، وأيضا فغالب أنبياء بنى إسرائيل كانوا أولاد أنبياء أو أولادهم فإن النبوة كانت تكون في سبط منهم يتناسلون كما هو معروف في أخبارهم، وأما العشرة المذكورون من غير بنى إسرائيل فقد ثبت إيمان أم نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وبقي أم هود وصالح ولوط وشعيب يحتاج إلى نقل أو دليل، والظاهر إن شاء الله تعالى إيمانهن، فكذاك أم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان السر في ذلك ما يريه من الدور. ورد في الحديث: أخرج أحمد والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي عن العرياض ابن سارية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طيئته، وسأخبركم عن ذلك دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت، وكذاك أمهات النبيين يرين وأن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعت نورا أضاعت له قصور الشام، ولا شك أن الذي رآته أم النبي صلى الله عليه وسلم في حال حملها به وولادتها له من الآيات أكثر وأعظم مما رآه سائر أمهات الأنبياء، كما سقنا الأخبار بذلك في كتاب المعجزات، وقد ذكر بعضهم أنه لم يرضعه مرضعة إلا أسلمت، قال ومرضعته أربع : أمه وحليمة السعدية وثوية وأم أيمن، انتهى. فإن قلت : فما تصنع بالأحاديث الدالة

على كفرها وأنها في النار، وهي حديث أنه صلى الله عليه وسلم قال :
 ليت شعري ما فعل أبواي، فنزلت ﴿ ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ﴾
 وحديث أنه استغفر لأمه فضرب جبرئيل في صدره وقال: لا تستغفر
 لمن مات مشركا. وحديث أنه نزل فيها ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا
 أن يستغفروا للمشركين ﴾ وحديث أنه قال لابني مليكة: أمكما في النار
 فشق عليهما فدعاهما فقال إن أمي مع أمكما. قلت : الجواب أن غالب
 ما يروى من ذلك ضعيف ولم يصح في أم النبي صلى الله عليه وسلم
 سوى حديث أنه استأذن في الاستغفار لها فلم يؤذن له . ولم يصح أيضا
 في أمه إلا حديث مسلم خاصة، وسيأتي الجواب عنهما . وأما الأحاديث
 التي ذكرت فحديث ليت شعري ما فعل أبواي فنزلت الآية، لم يخرج
 في شيء من كتب الأحاديث المعتمدة وإنما ذكره في بعض التفاسير
 بسند منقطع لا يحتج به، ولا يعول عليه، ولو جئنا تحتج بالأحاديث
 الواهية لمعارضتك بحديث واه أخرجه ابن الجوزي من حديث علي
 مرفوعا : هبط جبرئيل علي فقال إن الله يقرئك السلام ويقول إني
 حرمت النار على صلب أنزلك ويطن حملك وحجر كفلك، ويكون من
 باب معارضة الواهي بالواهي، إلا أنا لا نرى ذلك ولا نحتج به، ثم
 إن هذا السبب مردود بوجوه أخرى من جملة الأصول والبلاغة
 وأسرار البيان، وذلك أن الآيات من قبل هذه الآية ومن بعدها كلها
 في اليهود من قوله تعالى ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي
 أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون ﴾ إلى
 قوله ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه ﴾ ولهذا ختمت القصة بمثل ما صدرت به

وهو قوله تعالى ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ الآيتين، فتبين أن المراد بأصحاب الجحيم كفار أهل الكتاب، وقد ورد ذلك مصرحا به في الأثر، وأخرج عبد بن حميد والفريابي وابن جرير وابن المنذر في تفاسيرهم عن مجاهد قال : من أول البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين وآياتان في نعت الكافرين وثلاث عشرة آية في نعت المنافقين، ومن أربعين آية إلى عشرين ومائة في بني إسرائيل إشارة صحيحة، ومما يؤكد ذلك أن السورة مدنية وأكثر ما خوطب فيها اليهود، وترشح ذلك من حيث المناسبة أن الجحيم اسم لما عظم من النار، كما هو مقتضى اللغة والآثار أخرج ابن أبي حاتم عن أبي مالك قوله تعالى ﴿ أصحاب الجحيم ﴾ الجحيم ما عظم من النار. أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى ﴿ لها سبعة أبواب ﴾ قال أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية، قال والجحيم فيها أبو جهل. إسناده صحيح أيضا. فاللائق لهذه المنزلة من عظم كفره واشتد وزره وعانده عند الدعوة وبدل وحرف وجحد بعد علم، لا من هو بمظلة التخفيف، وإذا كان قد صح في أبي طالب أنه أهون أهل النار عذابا لقربته منه صلى الله عليه وسلم ويره مع إدراكه الدعوة وامتناعه من الإجابة وطول عمره، فما ظنك بأبويه الذين هما أشد منه قربا وأكد حبا وأبسط عذرا وأقصر عمرا فمعاذ الله أن يظن أنهما في طبقة الجحيم، وأن يشدد عليهما العذاب العظيم، هذا لا يفهمه من له أدنى ذوق سليم، وأما حديث أن جبرائيل ضرب في صدره وقال

لا تستغفر لمن مات مشركا فإن البزار أخرجه بسند فيه من لا يعرف،
وأما حديث نزول الآية في ذلك فضعيف أيضا والثابت في الصحيح أنها
أنزلت في أبي طالب وقوله صلى الله عليه وسلم له لأستغفرن لك ما لم
أنه عنك. وأما حديث أمي مع أمكما. فأخرجه الحاكم في (مستدركه)
وقال: صحيح. وشأن المستدرك في تساهله في التصحيح معروف، وقد
تقرر في علوم الحديث أنه لا يقبل تفرده بالصحيح، ثم إن الذهبي في
(مختصر المستدرك) لما أورد هذا الحديث ونقل قول الحاكم صحيح قال
عقبة. قلت : لا والله فعثمان بن عمير ضعفه الدارقطني فبين الذهبي
ضعف الحديث وحلف عليه يمينا شرعيا وإذا لم يكن في المسألة إلا
أحاديث ضعيفة كان للنظر في غيرها مجال.

الأمر الرابع : فيما نتتصر به لهذا المسالك أنه قد ثبت عن جماعة
كانوا في زمن الجاهلية أنهم حنفوا وتدينوا بدين إبراهيم عليه السلام،
وتركوا الشرك فما المانع أن يكون أبو النبي صلى الله عليه وسلم سبيلهم
في كل ذلك، قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي في (التلخيص) تسمية من
رفض عبادة الأصنام في الجاهلية : أبو بكر الصديق - زيد بن عمرو بن
نفيل - عبد الله بن جحش - عثمان بن الحويرث - ورقة بن نوفل -
رباب بن البراء - أسعد بن كريب الحميري - قس بن ساعدة الإيادي -
أبو قيس بن صرمة. انتهى. وقد وردت الأحاديث بتحقيق زيد بن عمرو
ابن نفيل وورقة وقس، وقد روى ابن إسحاق وأصله في الصحيح تعليقا
عن أسماء بنت أبي بكر قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسندا
ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش ما أصبح منكم أحد على دين

إبراهيم غيرى، ثم يقول : اللهم إني لو أعلم أحب الوجود إليك عبدتك به، ولكنى لا أعلم. قلت : ويؤيد هذا ما تقدم فى المسلك الأول أنه لم يبق إذ ذاك من يبلغ الدعوة ويعرف حقيقتها على وجهها، وأخرج أبو نعيم فى (دلائل النبوة) عن عمرو بن عبسة السلمي قال : رغبت عن آلهة قومي فى الجاهلية ورأيت أنها الباطل يعبدون الحجارة.

وأخرج البيهقي وأبو نعيم كلاهما فى (الدلائل) من طريق الشعبى^(١٠١) عن شيخ من جهينة أن عمرو بن حبيب أدرك الإسلام، وقال إمام الأشاعرة الشيخ أبو الحسن الأشعري وأبو بكر ما زال بعين الرضا منه فاختلف الناس فى مراده بهذا الكلام فقال بعضهم إن الأشعري يقول إن أبا بكر الصديق كان مؤمنا قبل البعثة، وقال آخرون بل أراد أنه لم يزل بحالة غير مغضوب فيها عليه لعلم الله تعالى بأنه سيؤمن ويصير من خلاصة الأبرار.

قال الشيخ تقي الدين السبكي: لو كان هذا مراده لاستوى الصديق وسائر الصحابة فى ذلك، وهذه العبارة التى قالها الأشعري فى حق الصديق لم يحفظ عنه فى حق غيره، فالصواب أن يقال : لم يثبت عنه حالة كفر بالله، فلعل حالة قبل البعث كحال زيد بن عمرو بن نفيل وأقرانه، فلهذا خصص الصديق بالذكر عن غيره من الصحابة، انتهى كلام السبكي.

قلت : وكذلك نقول فى حق أبوى النبی صلى الله عليه وسلم أنهما

(١٠١) هو عامر بن شراحيل أبو عمرو الكوفي، ثقة مات سنة ١٠٣ هـ وقيل سنة ١٠٤ هـ.

لم يثبت عنهما حالة كفر بالله، فلعل حالهما حال زيد بن عمرو بن نفيل وأبى بكر الصديق وأضرابهما مع أن الصديق وزيد بن عمرو إنما حصل لهما التخفيف في الجاهلية ببركة النبي صلى الله عليه وسلم، فإنهما كانا صديقين له قبل البعثة، وكانا يودانه كثيرا فأبواه أولى بعود بركته عليهما وحفظهما مما كان عليه أهل الجاهلية.

فإن قلت : بقيت عقدة واحدة، وهي ما رواه مسلم عن أنس أن رجلا قال: يا رسول الله أين أبى؟ قال: في النار. فلما قفا دعاه فقال: إن أبى وأباك في النار. وحديث مسلم وأبى داود (١٠٢) عن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم استأذن في الاستغفار لأمه فلم يؤذن له. فأحال هذه العقدة.

قلت : على الرأس والعين، الجواب أن هذه اللفظة وهي قوله إن أبى وأباك في النار لم يتفق على ذكرها الرواة وإنما ذكرها حماد بن سلمة (١٠٣) عن ثابت عن أنس وهي الطريق التي رواه مسلم منها وقد خالفه معمر عن ثابت فلم يذكر أن أبى وأباك في النار، ولكن قال له إذا

(١٠٢) هو أبو داود السجستاني سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو الأزدي صاحب السنن والناسخ والمنسوخ والقدر والمراسيل، ولد سنة ٢٠٢ هـ ومات سنة ٢٧٥ هـ، روى عن القعنبى ومسلم بن إبراهيم وأبى الوليد الطيالسى وأحمد ويحيى وإسحاق وابن المدينى وخلق.

(١٠٣) هو حماد بن سلمة بن دينار البصرى أبو سلمة، روى عن أيوب وأنس بن سيرين وحبيب المعلم وحמיד الطويل وخلاتق، وعنه حجاج بن منهال وأبو داود الطيالسى وسليمان بن حرب وابن المبارك وابن مهدي مات سنة ١٦٧ هـ.

مررت بقبر كافر فبشره بالنار. وهذا اللفظ لا دلالة فيه على والده صلى الله عليه وسلم بأمر ألبقة وهو أثبت من حيث الرواية فإن معمرا أثبت من حماد فإن حمادا تكلم في حفظه ووقع في أحاديثه مذاكير، ذكروا أن ربيبه دسها في كتبه وكان حماد لا يحفظ فحدث بها فوهم فيها، ومن ثم لم يخرج له البخاري شيئا ولا خرج له مسلم في الأصول إلا من روايته عن ثابت، قال الحاكم في (المدخل) ما خرج مسلم لحماد في الأصول إلا من حديثه عن ثابت وقد خرج له في (الشواهد) عن طائفة، وأما معمر فلم يتكلم في حفظه ولا استلكر شيء من حديثه واتفق على التخريج له الشيخان فكان لفظه أثبت، ثم وجدنا الحديث ورد من حديث سعد بن أبي وقاص بمثل لفظ رواية معمر عن ثابت عن أنس فأخرج البزار والطبراني والبيهقي من طريق إبراهيم بن سعد عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه أن أعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أين أبي؟ قال: في النار، قال فأين أبوك قال: حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار.

وهذا إسناد على شرط الشيخين فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره، وقد زاد الطبراني والبيهقي في آخره قال: فأسلم الأعرابي بعد، فقال: لقد كلفتني رسول الله صلى الله عليه وسلم تعباً، ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار. وقد أخرج ابن ماجه (١٠٤) من طريق

(١٠٤) هو أبو عبد الله محمد بن يزيد الربيعي مولا هم القزويني الحافظ صاحب كتاب السنن والتفسير، مات سنة ٢٨٣هـ، سمع بخراسان والعراق والحجاز ومصر والشام وغيرها.

إبراهيم بن سعد^(١٠٥) عن الزهري عن سالم عن أبيه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن أبي كان يصل الرحم وكان وكان فأين هو؟ قال: في النار. قال فكأنه وجد من ذلك فقال: يا رسول الله فأين أبوك؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار. فأسلم الأعرابي بعد، ثم قال لقد كلفني رسول الله صلى الله عليه وسلم تعباً ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار.

فهذه الزيادة أوضحت بلا شك أن هذا اللفظ العام هو الذي صدر منه صلى الله عليه وسلم ورآه الأعرابي بعد إسلامه أمراً مقتضياً للامتثال فلم يتعبه إلا امتثاله، ولو كان الجواب باللفظ الأول لم يكن فيه أمر بشيء أثبت، فعلم أن اللفظ الأول من تصرف الراوي، رواه بالمعنى على حسب فهمه.

وقد وقع في الصحيحين روايات كثيرة من هذا النمط فيها لفظ تصرف فيه الراوي وغيره أثبت منه، كحديث مسلم عن أنس في نفى قراءة البسملة وقد أعله الإمام الشافعي رضي الله عنه بذلك، وقال إن الثابت من طريق آخر بنفى سماعها ففهم منه الراوي نفى قراءتها فرواه بالمعنى على فهمه فأخطأ، ونحن أجبتنا عن حديث مسلم في هذا المقام بنظير ما أجاب به إمامنا الشافعي رضي الله عنه، عن حديث مسلم في نفى قراءة البسملة، ثم لو فرض اتفاق الرواة على اللفظ الأول

(١٠٥) هو إبراهيم بن سعد الزهري نزيل بغداد، مات سنة ١٨٣ هـ.

كان معارضنا لما تقدم من الأدلة، والحديث الصحيح إذا عارضه أدلة أخرى هي أرجح منه وجب تأويله وتقديم تلك الأدلة عليه، كما هو مقرر في الأصول، وبهذا الجواب الأخير يجاب عن حديث عدم الإذن في الاستغفار لأنه على أنه يمكن فيه دعوى الملازمة بدليل أنه كان في صدر الإسلام معلوما من الصلاة على من عليه دين وهو مسلم، فلعنه كانت علتها تبعات غير الكفر فمنع أيضا من الاستغفار لها بسببها، والجواب الأول أنقد وهذا تأويل في الجملة، ثم رأيت طريقا للحديث مثل لفظ رواية معمر وأزيد وضوحا، وذلك أنه صرح فيه بأن السائل أراد أن يسأل عن أبيه صلى الله عليه وسلم فعدى عن ذلك تأملا وتأدبا فأخرج الحاكم في (المستدرك) وصححه عن لقيط بن عامر أنه خرج وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق، قال : فقدمنا المدينة لانسلاخ رجب فصلينا معه صلاة الغداة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس خطيبا فذكر الحديث إلى أن قال، فقلت: يا رسول الله هل في أحد ممن مضى منا في الجاهلية من خير، فقال رجل من عرض قريش إن أباك المنتفق في الدار. فكأنه وقع بحر بين جلد وجهي ولحمي مما قال لأبي على رهوس الناس فهملت أن أقول: وأبوك يا رسول الله، ثم نظرت فإذا الأخرى أجمل فقلت. وأهلك يا رسول الله قال : ما أتيت عليه من قبر قرشى أو عامري مشرك فقل أرسلني إليك محمد فأبشرك بما بشرك .

هذه رواية لا إشكال فيها وهي أوضح الروايات وأبينها تقريرا، وما المانع أن يكون قول السائل: فأين أبوك؟ وقوله صلى الله عليه وسلم في

حديث أنس أن أبي إني ثبت المراد به عمه أبو طالب لا أبوه عبد الله كما قال بذلك الإمام فخر الدين في أبي إبراهيم أنه عمه، وقد تقدم نقله عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج والسدي، ويرشحه ههنا أمران: الأول: أن إطلاق ذلك على أبي طالب كان شائعا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا كانوا يقولون له قل لابنك يرجع عن شتم آلها، وقال أبو طالب مرة لما قالوا له أعطنا ابنك نقتله ويخذ هذا الولد مكانه، قال: أعطاكم ابني تقتلونه وأخذ ابنكم أكفله لكم، ولما سافر أبو طالب إلى الشام ومعه النبي صلى الله عليه وسلم نزل له بحيراء فقال له ما هذا منك قال: هو ابني. فقال: ما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، فكانت تسمية أبي طالب أبا للنبي صلى الله عليه وسلم شائعة عندهم لكونه عمه وكونه ربا وكفله من صغره، وكان يحوطه ويحفظه وينصره فكان مظنة السؤال عنه. والأمر الثاني: أنه وقع في حديث شبه هذا ذكر أبي طالب في دلائل القصد أخرج الطبراني عن أم سلمة أن الحارث بن هشام أتى النبي صلى الله عليه وسلم يوم حجة الوداع فقال: يا رسول الله تحدث على صلة الرحم والإحسان إلى الجار وإبرار اليتيم وإطعام الضيف وإطعام المساكين، وكل هذا كان يفعله هشام بن المغيرة فما ظنك به يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كل قبر لا يشهد صاحبه أن لا إله إلا الله فهو جذوة من النار، وقد وجدت عمي أبا طالب في مطمطم من النار فأخرجه الله لمكانه مني وإحسانه إلي فجعله في منحصاح من النار.

تنبيه

قد استراح جماعة من هذه الأجوبة كلها، وكما أجابوا عن الأحاديث الواردة فيهما بأنها منسوخة أجابوا عن الأحاديث الواردة في أطفال المشركين أنهم في النار، وقالوا: الناسخ لأحاديث أطفال المشركين قوله ﴿ولا تذر واردة وذر أخرى﴾ ولأحاديث الأبوين قوله تعالى ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ ومن اللطائف كون الجملتين في الفريقين مقترنتين في آية واحدة متعاطفتين متناسقتين في النظم، وهذا جواب مختصر مفيد يغني عن كل جواب إلا أنه يتأتى على المسلك الأول دون الثاني كما هو واضح، فلهذا احتجنا إلى تحرير الأجوبة عنها على المسلك الثاني.

تتمة

قد ثبت في الحديث أن أهون أهل النار عذابا أبو طالب، وأنه في ضحضاح من النار في رجليه نعلان يغلي منهما دماغه، وهذا يدل على أن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم ليسا في النار، لأنهما لو كانا فيها لكانا أهون عذابا من أبي طالب لأنهما أقرب منه مكانا وأبسط عذرا لأنهما لم يدركا البعثة ولا عرض عليهما الإسلام فامتنعا بخلاف أبي طالب، وقد أخبر الصادق المصدوق أنه أهون أهل النار عذابا فليس أبواه من أهلها، وهذا يسمى عند أهل الأصول دلالة الإشارة.

منصب ميدان جدلي

المجادلون في هذا الزمان كثير وخصوصا في هذه المسألة وأكثرهم ليس لهم معرفة بطرق الاستدلال فالكلام معهم ضائع غير أني أنظر

الذى يجادل وأكلمه بطريق يقرب من ذهنه فإنه أكثر ما عنده أن يقول الذى ثبت فى صحيح مسلم يدل على خلاف ما تقول، فإن كان الذى يجادل بذلك من أهل مذهبنا شافعى المذهب أقول له قد ثبت فى صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم وأنت لا تصحح الصلاة بدون البسمة وثبت فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: إنما جعل الإمام ليؤتم به، فلا تختلفوا عليه، فإذا ركع فاركعوا وإذا رفع فارفعوا وإذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا لك الحمد وإذا صلى جالسا فصلوا جلوسا أجمعون. وأنت إذا قال سمع الله لمن حمده تقول سمع الله لمن حمده مثله، وإذا صلى جالسا بعذر وأنت قادر تصلى خلفه قائما لا جالسا، وثبت فى الصحيحين فى حديث التيمم إنما يكفيك أن تقول بيديك هكذا ثم ضرب بيده ضربة واحدة ومسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه ووجهه، وأنت لا تكتفى فى التيمم بضربة واحدة ولا بالمسح إلى الكوعين فكيف خالفت الأحاديث التى ثبتت فى الصحيحين أو أحدهما فلا بد إن كانت عنده رائحة من العلم أن يقول قامت أدلة أخرى معارضة لهذه فقدمت عليها فأقول له وهذا مثله لا يحتج عليه إلا بهذه الطريقة فإنها ملزمة له ولأمثاله.

فإن كان المجادل مالكي المذهب أقول له قد ثبت فى الصحيحين المتبائع بالخيار ما لم يتفرقا. وأنت لا تثبت خيار المجلس، وثبت فى صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم توضأ ولم يمسح كل رأسه، وأنت توجب فى الوضوء مسح كل الرأس فكيف خالفت ما ثبت فى الصحيح؟ فيقول قامت أدلة أخرى معارضة له فقدمت عليه فأقول له وهذا مثله.

وإن كان المجادل حنفى المذهب أقول له قد ثبت فى الصحيحين إذا
ولغ الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبعا. وأنت لا تشترط فى النجاسة
الكلبية سبعا، وثبت فى الصحيحين لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب،
وأنت تصحح الصلاة بدونها، وثبت فى الصحيحين ثم ارفع حتى تعتدل
قائما. وأنت تصحح الصلاة بدون الطمأنينة فى الاعتدال، وصح فى
الحديث إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا، وأنت لا تعتبر القلتين، وصح
فى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم باع المدبر، وأنت لا تقول ببيع
المدبر، فكيف خالفت هذه الأحاديث الصحيحة؟ فيقول: قامت أدلة
أخرى معارضة لها فقدمت عليها. فأقول له وهذا مثله.

وإن كان المجادل حنبلى المذهب أقول له قد ثبت فى الصحيحين
من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم. وثبت فيهما لا تقدموا رمضان
بصوم يوم ولا يومين، وأنت تقول بصيام يوم الشك فكيف خالفت ما
ثبت فى الصحيحين؟ فيقول قامت أدلة أخرى معارضة له فقدمت
عليه فأقول له وهذا مثله، هذا أقرب بالقرب به لأذهان الناس اليوم.

وإن كان المجادل ممن يكتب الحديث ولا فقه عنده يقال له: قد
قالت الأقدمون المحدث بلا فقه كعطار غير طبيب، فالأدوية حاصلة
فى دكانه ولا يدري لماذا تصلح، والفقيه بلا حديث كطبيب ليس بعطار،
يعرف ما يصلح له الأدوية إلا أنها ليست عنده. وإنى بحمد الله قد
اجتمع عندى الحديث والفقه والأصول وسائر الآلات من العربية
والمعانى والبيان وغير ذلك فأنا أعرف كيف أتكلم وكيف أقول وكيف
أستدل وكيف أرجح، وأما أنت يا أخى وفقلى الله وإياك فلا يصلح لك

ذلك لأنك لا تدري الفقه ولا الأصول ولا شيئا من الآلات، والكلام في الحديث والاستدلال به ليس بالهين ولا يحل الإقدام على التكلم فيه لمن لم يجمع هذه العلوم، فاقصر على ما آتاك الله وهو أنك إذا سئلت عن حديث تقول ورد أو لم يرد وصححه الحفاظ أو حسنوه أو منعفوه لا يحل لك في الافتاء سوى هذا القدر واخل ما عدا ذلك لأهلك.

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وثم أمر آخر أخاطب به كل ذي مذهب من مقلدى المذاهب الأربعة وذلك أن مسلما روى في صحيحه عن ابن عباس أن طلاق الثلاث كان يجعل واحدة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وصدرنا من إمارة عمر. فأقول لكل طالب علم: هل تقول أنت بمقتضى هذا الحديث وإن من قال لزوجته أنت طالق ثلاثا تطلق واحدة فقط فإن قال نعم أعرضت عنه وإن قال لا أقول له فكيف تخالف ما ثبت في صحيح مسلم فإن قال لما عارضته أقول له فاجعل هذا مثله.
والمقصود من سياق هذا كله أنه ليس كل حديث في صحيح مسلم يقال بمقتضاه لوجود المعارض له.

المسلك الثالث

إن الله أحيا له أبويه حتى آمنا به، وهذا المسلك مال إليه طائفة كبيرة من حفاظ المحدثين، وغيرهم منهم ابن شاهين والحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي والسهيلي والقرطبي والمحب الطبري والعلامة ناصر الدين ابن المدير وغيرهم، واستدلوا لذلك بما أخرجه ابن شاهين في (الناسخ

والمنسوخ) والخطيب البغدادي في (السابق واللاحق) والدارقطني وابن عساكر كلاهما في (غرائب مالك) بسند ضعيف عن عائشة قالت: حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع، فمر بي على عقبة الحجون وهو بأك حزين مغتم، فنزل فمكث عني طويلاً ثم عاد إلى وهو فرح متبسم، فقلت له فقال ذهبت بقبر أمي فسألت الله أن يحييها فأحيها فأمنت بي وردها الله. هذا الحديث ضعيف باتفاق المحدثين بل قيل إنه موضوع لكن الصواب ضعفه لا وضعه وقد ألفت في بيان ذلك جزءاً مفرداً، وأورد السهيلي في (الروض الأنف) بسند قال إن فيه مجهولين عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يحيى أبويه فأحياهما له فأما به ثم أماتهما. وقال السهيلي بعد إيراده: إن الله قادر على كل شيء وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء، ونبيه صلى الله عليه وسلم أهل أن يختص بما شاء من فضله ويدعم عليه بما شاء من كرامته، وقال القرطبي لا تعارض بين حديث الإحياء وحديث النهي عن الاستغفار وإن حديث إحيائهما متأخر عن الاستغفار لهما بدليل حديث عائشة إن ذلك كان في حجة الوداع، ولذلك جعله ابن شاهين ناسخاً لما ذكر من الأخبار.

وقال العلامة ناصر الدين ابن المنير المالكي في كتاب (المقتفى في شرف المصطفى) قد وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم إحياء الموتى نظير ما وقع لعيسى ابن مريم إلى أن قال: وجاء في حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما منع من الاستغفار للكفار دعا الله أن يحيى له أبويه فأحياهما فأما به وصدقاً وماتاً مؤمنين، وقال القرطبي: فضائل النبي

صلى الله عليه وسلم لم تزل تنزلى وتتتابع إلى حين مماته، فيكون هذا مما فضله الله به وأكرمه، قال: وليس إحيائهما وإيمانهما به الممتنع عقلا ولا شرعا، وقد ورد في القرآن إحياء قتيل بنى إسرائيل والإخبار بقاتله، وكان عيسى عليه السلام يحيى الموتى، وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم أحيا الله على يديه جماعة من الموتى، قال وإذا ثبت هذا فما يمتنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادة في كرامته وفضيلته، وقال الحافظ فتح الدين بن سيد الناس في (سيرته) بعد ذكر قصة الإحياء والأحاديث الواردة في التعذيب: وذكر بعض أهل العلم في الجمع بين الروايات ما حاصله أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل راقيا في المقامات السنية صاعدا في الدرجات العلية إلى أن قبض الله روحه الطاهرة إليه وأزلفه بما خصه لديه من الكرامات حين القدوم عليه، فمن الجائز أن يكون هذه درجة حصلت له صلى الله عليه وسلم بعد أن لم تكن وأن تكون الإحياء والإيمان متأخرا عن تلك الأحاديث فلا تعارض، انتهى. وقد أشار بعض العلماء إلى ذلك فقال بعد إirاده خبر حليلة وما أسداه صلى الله عليه وسلم إليها حين قدومها عليه:

هذا جزاء الأم عن إرضاعه	لكن جزاء الله عنه عظيم
وكذاك أرجو أن يكون لأمه	عن ذاك آمنة بدر نعيم
ويكون أحيائها الإله وآمنت	بمحمد فحديثها معلوم
فلربما سعدت به أيضا كما	سعدت به بعد الشقاء حلیم

وقال الحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقي في كتابه
المسمى (مورد الصادي في مولد الهادي) بعد إيراد الحديث منشدا
لنفسه:

أشعار

حبا لله النبي مزيد فضل على فضل وكان به ره وفا
فأحيا أمه وكذا أباه لإيمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم بذات قدير وإن كان الحديث به ضعيفا

خاتمة

وجمع من العلماء لم تقو عندهم هذه المسالك فأبقوا حديثي مسلم
ونحوهما على ظاهرهما من غير عدول عنهما بدعوى نسخ ولا غيره،
ومع ذلك قالوا: لا يجوز لأحد أن يذكر ذلك، قال السهيلي في (الروض
الأنف) بعد إirاده حديث مسلم: وليس لنا نحن أن نقول ذلك في أبيه
صلى الله عليه وسلم، لقوله: لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات، وقال تعالى
﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله ﴾ الآية، وسئل القاضي أبو بكر بن
العربي أحد الأئمة المالكية عن رجل قال إن آباء النبي صلى الله عليه
وسلم في النار، فأجاب بأن من قال ذلك فهو ملعون، لقوله تعالى ﴿ إن
الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ﴾ قال ولا
أذى أعظم من أن يقال عن أبيه إنه في النار. ومن العلماء من ذهب
إلى قول خامس وهو الوقوف، قال الشيخ تاج الدين الفاكهاني في كتابه

(الفجر المنير) الله أعلم بحال أبويه، وقال الباجي^(١٠٦) في (شرح الموطأ) قال بعض العلماء إنه لا يجوز أن يؤذى النبي صلى الله عليه وسلم بفعل مباح ولا غيره، وأما غيره من الناس فيجوز أن يؤذى بمباح وليس له المنع منه، ولا يَأْتُم فاعل المباح وإن وصل بذلك أذى إلى غيره. قال ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم حين أراد على بن أبي طالب أن يتزوج ابنة أبي جهل وإنما فاطمة بضعة مني وإنى لا أحرم ما أحل الله تعالى ولكن والله لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل أبدا.

فجعل حكمها في ذلك حكمه أنه لا يجوز أن يؤذى بمباح، واحتج على ذلك بقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ الآيتين، فشرط على المؤمنين أن يؤذوا بغير ما اكتسبوا وأطلق الأذى في خاصة النبي صلى الله عليه وسلم من غير شرط. انتهى. وقد سئلت أن أنظم في هذه المسألة أبياتاً أختتم بها هذا التأليف فقلت:

إن الذي بعث النبي محمداً	أنجى به الثقلين مما يحذف
ولأمه وأبيه حكم شائع	أبداه أهل العلم فيما صنفوا
فجماعة أجروهما مجرى الذي	لم يأت خبر الدعاة المسعف
والحكم فيمن لم تجله دعوة	أن لا عذاب عليه حكم مؤلف
فبذاك قال الشافعية كلهم	والأشعرية ما بهم متوقفاً

(١٠٦) له ترجمة وإفنية في سير أعلام النبلاء للذهبي.

وبسورة الإسراء فيه حجة
ولبعض أهل الفقه في تعليقه
إذ هم على الفطر التي ولدوا ولم
ونحا الإمام الفخر رازي الوري
قال الألي ولدوا النبي المصطفى
من آدم لأبيه عبد الله ما
فالمشركون كما بسورة توبة
وبسورة الشعراء فيه تغلب
هذا كلام الشيخ فخر الدين في
فجزاه رب العرش خير جزائه
فلقد تدين في زمان الجاهلية
زيد بن عمرو بن نفيل هكذا
قد فسر السبكي بذلك مقالة
إن لم يكن عين الرضاء منه على
عادت عليه صحبة الهادي فما

ويلحق ذا في الذكر آي تعرف
معنى أرق من اللسيم والطف
يظهر عناد منهم وتختلف
محتاجه للسامعين تشلف
كل على التوحيد إذ يتحلف
فيهم أخو شرك ولا مستلطف
نجس وكلهم بطهر يوصف
في الساجدين فكلهم متحلف
أسراره هطلت عليه الذرف
وحباه جذات النعيم تزخرف
فرقة دين الهدى وتحنفوا
الصديق ما شرك عليه يعكف
للأشعري وما سواه مزيف
الصديق وهو بطول عمر أحنف
في الجاهلية للضلالة يعرف

فلأمة وأبوه أخرى سيما دارت من الآيات ما لا يوصف
وجماعة ذهبوا إلى إحيائه أبويه حتى آمنا لا خوفوا
وروى ابن شاهين حديثا مسندا في ذاك لكن الحديث مضعف
هذى مسالك لو تفرد بعضها لكفى فكيف لها إذا تتألف
وبحسب من لا يرتضيها صمته أدبا ولكن أين من هو منصف
صلى الإله على النبي محمد ما جدد الدين الحنيف محنّف

حديث يتعلق بهما

حدثنا البيهقي في (شعب الإيمان) أخبرنا أبو الحسين بن بشر أنا أبو
جعفر الرازي أنبأ يحيى بن جعفر أنا زيد بن الحباب أنا ياسين بن معاذ
أنا عبد الله بن يزيد عن مطلق بن علي قال: سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لو أدركت والدي أو أحدهما وأنا في صلاة العشاء وقد
قرئ فيها بفاتحة الكتاب فنادى يا محمد لأجبتكما لبيك.
قال البيهقي ياسين بن معاذ ضعيف.

فائدة

قال الأزرقي في (تاريخ مكة) حدثنا محمد بن يحيى عن عبد
العزیز بن عمران عن هشام بن عاصم الأسلمي قال: لما خرجت إلى
النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد فنزلوا بالأبواء قالت هند ابنة
عتبة لأبي سفيان بن حرب لو بحثتم قبر أمه أم محمد فإنه بالأبواء فإن

أسر أحد مكم افتديتم به كل إنسان يارب من آرابها، فذكر ذلك أبو سفيان
لقريش فقالت قريش: لا تفتح علينا هذا الباب إذن يبحث بنو بكر موتانا.

فائدة

من شعر عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم أورد الصلاح
الصفدي في تذكرته :

لقد حكم السارون في كل بلدة	بأن لنا فضلا على سادة الأرض
وأن أبي ذو المجد والسودد الذي	يشار به ما بين بسر إلى حفص
وجدي وآباء له أبلوا العلى	قديما لطلب العرف والحسب المحض

هذا آخر كتاب (مسالك الحنفا في والدي المصطفى) صلى
الله عليه وسلم. تأليف الإمام العمدة مفتي المسلمين، خاتمة
الحفاظ المتقنين الشيخ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي رحمه
الله تعالى.

**التعظيم والمنسة
في أن أبوى
رسول الله في الجنة**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عبادة الذين اصطفى، أفتيت بأن المختار أن أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم موحدة وحكمها حكم من تحنف في الجاهلية وكان على دين إبراهيم الخليل عليه السلام وترك عبادة الأصنام كزيد بن عمرو بن نفيل وأضرابه، وبأن الحديث الوارد في أن الله أحياها له ليس بموضوع كما ادعاه جماعة من الحفاظ، بل هو من قسم الضعيف الذي يتسامح بروايته في الفضائل خصوصا في مثل هذا الموطن فتضمن هذا الإفتاء أمرين محتاجين إلى بيان المستند لكل منهما فأقول: قال ابن شاهين^(١) في كتابه (الناسخ والمنسوخ) حدثنا محمد بن الحسين بن زياد^(٢) مولى الأنصار ثنا أحمد بن يحيى الحضرمي^(٣) بمكة ثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهري^(٤) ثنا عبد الوهاب بن موسى

(١) هو الحافظ الإمام المفيد الكبير محدث العراق أبو حفص عمر بن أحمد بن أحمد ابن عثمان البغدادي صاحب الترغيب والترهيب والتفسير والمسند والتاريخ، سمع الباقين بالبغوى ومنه الماليني والبرقاني. جمع الأبواب والشيوخ وصنف ثلاثمائة وثلاثين مصنفا. مات سنة ٣٨٥ هـ.

(٢) له ذكر في حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني.

(٣) ثقة له حديث كثير، وقيل عنه ضعيف.

(٤) له ذكر في سير أعلام النبلاء.

الزهري^(٥) عن عبد الرحمن بن أبي الزناد^(٦) عن هشام بن عروة^(٧) عن أبيه عن عائشة^(٨) رضی الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزل إلى الحجون^(٩) كئيباً حزيناً فأقام به ما شاء ربه عز وجل ثم رجع مسروراً فقلت : يا رسول الله نزلت إلى الحجون كئيباً حزيناً فأقامت به ما شاء الله ثم رجعت مسروراً قال : سألت ربي عز وجل فأحيا لي أُمي فأمدت بي ثم ردها. أورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال الحافظ أبو الفضل بن ناصر^(١٠) : هذا الحديث موضوع ومحمد بن زياد

(٥) ثقة اختلف في سنة وفاته قيل سنة ٢٠٢ هـ وقيل سنة ٢٠٠ هـ.

(٦) هو عبد الرحمن بن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان القرشي مولاهم أبو محمد المدني. روى عن أبيه وهشام بن عروة وزيد بن علي وخلق. وعنه ابن وهب وأبو داود الطيالسي وخلق ثقة مات سنة ١٧٤ هـ.

(٧) هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي المدني، روى عن أبيه وعمه عبد الله بن الزبير وطائفة، وعنه أبو حنيفة ومالك وشعبة والسفيانان والحمادان وخلق، له نحو أربع مائة حديث، ثقة مات سنة ١٤٥ هـ.

(٨) هي عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق. كان فقهاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجعون إليها، تفقه بها جماعة. يروى عن أبي موسى قال : ما أشكل علينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً. ماتت سنة ٥٧ هـ.

(٩) آخره نون والحجون الاعوجاج ومنه غزوة حجون التي يظهر الغازي الغزو إلى موضع ثم يخالف إلى غيره وقيل هي البعيدة. والحجون جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها.

(١٠) هو شمس الدين محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد الدمشقي، ولد سنة ٧٧٧ هـ ومات سنة ٨٤٢ هـ، وهو محدث البلاد الدمشقية.

هو النقاش ليس بثقة وأحمد بن يحيى ومحمد بن يحيى مجهولان.

قلت: أما محمد بن يحيى فليس بمجهول فقد ذكر الذهبي في (الميزان والمغلي) معا فقال: محمد بن يحيى أبو غزية المدني الزهري. قال الدارقطني: متروك، وقال الأزدي: ضعيف، هذه عبارته، فقد عرف بالضعيف لا بالوضع ومن يترجم بهذا لا يكون حديثه في درجة الموضوع، بل في درجة الضعيف. وأما أحمد بن يحيى الحضرمي فليس بمجهول أيضا فقد ذكره الذهبي (١١) في (الميزان) وقال: روى عن حرمة التجيبي (١٢)، لينه أبو سعيد بن يونس (١٣)، ومن يترجم بهذا يعتبر حديثه. وأما محمد بن زياد فإن كان هو النقاش كما ذكر فهو أحد العلماء بالقراءات وأحد الأئمة بالتفسير. قال الذهبي في

(١١) هو الإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن قايماز التركماني ثم الدمشقي المقرئ، ولد سنة ٦٧٣ هـ ومات سنة ٧٤٨ هـ. له عدة مصنفات نافعة منها الميزان والمجرد ومشبه النسبة والكاشف ومطبقات القراء ومختصر تهذيب الكمال وسير أعلام النبلاء ومختصر سنن البيهقي ومختصر المحلي وغيرهم.

(١٢) هو حرمة بن يحيى بن عبد الله بن حرمة بن عمران التجيبي أبو حفص المصري صاحب الشافعي، روى عن الشافعي وعبد الله بن وهب ويحيى بن عبد الله بن بكر، وعنه مسلم وابن ماجه ويحيى بن مخلد وأبو زرعة وأبو حاتم، ولد سنة ١٦٦ هـ ومات سنة ٢٤٣ هـ.

(١٣) هو أبو سعيد بن يونس الحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصرفي المصري صاحب تاريخ مصر، ولد سنة ٢٨١ هـ ومات سنة ٣٤٧ هـ، وسمع الدسائي.

(الميزان) صار شيخ المقرئين في عصره على ضعف فيه، أثلى عليه أبو عمرو الداني وحدث بمناكير ومع ذلك قلم يفردوا به فإن للحديث طريقين آخرين عن أبي غزية. قال الحافظ محب الدين أحمد بن عبد الله المكي الطبري^(١٤) في كتابه (السيرة) أنا أبو الحسن أنا الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر السلمي إجازة أنا أبو منصور محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرزاق^(١٥) الحافظ الزاهد أنا القاضي أبو بكر محمد بن عمر بن الأخضر^(١٦) ثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهري ثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزل الحجون كئيها حزينا فأقام به ما شاء الله ثم رجع مسرورا، قال : سألت ربي فأحيا لي أمي فأمنت بي ثم ردها.

وأما الذهبي فلم يعلل الحديث بواحد من الثلاثة المذكورين بل قال في (الميزان) عبد الوهاب بن موسى عن عبد الرحمن بن أبي الزناد يحدث أن الله أحيا لي أمي فأمنت بي، الحديث، لا يدرى من ذا الحيوان الكذاب، فإن هذا الحديث كذب يخالف لما صح من أنه عليه السلام استأذن ربه في الزيارة والاستغفار لها قلم يأذن له انتهى.

(١٤) هو فقيه الحرم أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر المكي الشافعي، مصنف الأحكام الكبرى، ولد سنة ٦١٥، ومات سنة ٦٩٤ هـ، ثقة. محدث الحجاز.

(١٥) له ذكر في سير أعلام النبلاء.

(١٦) اختلف في اسمه وسنده.

حاصله أنه أعل الحديث بأمرين. أحدهما جهالة عبد الوهاب بن موسى، والثاني مخالفته للحديث الصحيح المذكور. والجواب عن الأمر الأول أن عبد الوهاب معروف من رواية مالك^(١٧)، وقد روى هذا الحديث أيضا عنه، قال الحافظ أبو بكر الخطيب في كتاب (السابق واللاحق): أخبرنا أبو العلا الواسطي^(١٨) ثنا الحسين بن علي بن محمد الحلبي^(١٩) ثنا أبو طالب عمر بن الربيع الزاهد^(٢٠) حدثنا علي بن أيوب الكعبي^(٢١) ثنا محمد بن يحيى الزهري أبو غزية ثنا عبد الوهاب بن موسى ثنا مالك بن أنس عن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: حج بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجة الوداع فمر بي على عقبة الحجون وهو بالك حزين مغتم فبكيت لبكاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم إنه طفر فنزل فقال: يا حميراء استمسكي، فاستندت إلى جنب البعير فمكث على طويلا ثم إنه عاد إلي وهو فرح مبتسم فقلت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله،

(١٧) هو الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري أبو عبد الله المدني، شيخ الأئمة وإمام دار الهجرة، روى عن نافع ومحمد بن المنكدر وجعفر الصادق وحמיד الطويل وخلق. وعنه الشافعي، له نحو ألف حديث، مات سنة ١٧٩ هـ.

(١٨) له ذكر في طبقات الحفاظ ٣٩٢

(١٩) ثقة، روى عدة أحاديث اختلف في سنة وفاته

(٢٠) له ذكر في ترتيب المدارك للقاضي عياض

(٢١) ثقة روى عن عدة مشايخ مالكية

نزلت وأنت بآك حزين مسغتم فبكيت لبكائك ثم إنك عدت إلي وأنت فرح مبتسم فيم ذا يا رسول الله قال : ذهبت بقبر أُمِّي فسألت الله أن يحييها فأحيها فأمنت بي وردها الله. أخرجته من هذا الطريق الدارقطني في (غرائب مالك) وقال باطل وأخرجته ابن عساكر في (غرائب مالك) أيضا. وقال منكر وأورده ابن الجوزي في (الموضوعات) أيضا ولم يتكلم على رجاله وقد قال الذهبي في (الميزان) على بن أيوب أبو القاسم الكعبي^(٢٢) روى عن ابن يحيى الزهرى لا يكاد يعرف.

قلت : قد بان بهذا الطريق أن عبد الوهاب بن موسى هذا يقال له أبو العباس الزهرى ذكره الخطيب في الرواة عن مالك فأخرج من طريق سعيد بن الحكم^(٢٣) بن أبي مريم المصرى ثنا عبد الوهاب بن موسى الزهرى ثنا مالك ثنا عبد الله بن دينار^(٢٤) عن سعد مولى عمر بن الخطاب أن كعب الأحبار قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إنا لنجدك في كتاب الله تعالى على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة. هذا الأثر

(٢٢) ثقة ذكر في الشجرة النور الزكية والديباج المذهب لابن فرحون

(٢٣) هو سعيد بن مريم الجمحي مولاهم، وهو ابن الحكم بن محمد بن سالم المصرى، روى عن مالك والليث وأسامة بن زيد وخلق، وعنه ابن معين والبخارى والذهلى ومحمد بن إسحاق الصاغانى وأبو حاتم، وآخرون. ولد سنة ١٤٤ هـ ومات سنة ٢٢٤ هـ

(٢٤) هو عبد الله بن دينار القرشى العدوى أبو عبد الرحمن المدنى، مولى عبد الله ابن عمر روى عن مولاة وأنس، وعنه الثورى وابن عيينة وشعبة، ثقة كثير الحديث مات سنة ١٢٧ هـ

معروف عن مالك أخرجه ابن سعيد في (الطبقات) عن معن بن عيسى (٢٥) عن مالك بسنده ومثله سواء فزالت جهالة عين عبد الوهاب برواية ثان عنه بروايته المعروفة، وكان الحديث عنه من طريقين عن مالك عن أبي الزناد عن هشام، وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام، فرواه مرة هكذا ومرة هكذا، وفي هذا الطريق زيادة فائدة هي أن ذلك وقع في حجة الوداع وبه يحصل الجواب عن الأمر الثاني وهو المخالفة لحديث الاستيذان في الاستغفار عند الزيارة فإن قصة الزيارة كانت عام الفتح كما في حديث بريدة، وذلك قبل هذه القصة بعامين، ولهذا أورده ابن شاهين في (الناسخ والمنسوخ) فأورد حديث الزيارة وأنهى عن الاستغفار وجعله منسوخا، وأورد بعده حديث عائشة في الإحياء وجعله ناسخا، وذلك حسن جلي، وتابعه القرطبي على ذلك فقال في (التذكرة) بعد أن أورد حديث عائشة في إحياء أمه وحديث إحياء أبيه ولا تعارض لأن إحياءهما متأخر عن الاستغفار لها بدليل حديث عائشة في حجة الوداع، وكذلك جعله ابن شاهين ناسخا لما ذكر من الأخبار وقال ابن شاهين أيضا : حدثنا يحيى بن صاعد (٢٦) ثنا

(٢٥) هو معن بن عيسى بن يحيى بن دينار الأشجعي مولا هم القزاز المدني. روى عن مالك وإبراهيم بن طهمان وعدة، وعنه ابن معين وأبو بكر بن أبي شيبة وابن المديني وخلق، ثقة مات سنة ١٩٨ هـ.

(٢٦) صاحب المصنفات المفيدة منها طبقات الأمم.

إبراهيم بن سعد (٢٧) وزهير بن محمد (٢٨) وله اللفظ قالوا ثنا عبد الرحمن ابن المبارك ثنا مصعب بن حرب عن علي بن الحكم عن عثمان بن عمير عن أبي وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : جاء ابنا مليكة فقالا : يا رسول الله إن أمنا كانت تكرم الضيف وقد أدت في الجاهلية فأين أمنا فقال أمكما في النار، فقاما وقد شق ذلك عليهما فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال إن أمي مع أمكما فقال منافق من الناس : أوما يغني هذا عن أمه إلا ما يغني ابني مليكة عن أمهما فقال شاب من الأنصار: لو أن أبويك. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما سألتهما ربي فيعطيني منهما وإني لقائم المقام المحمود.

وأخرجه الحاكم في (المستدرک) وقال : صحيح. وفي هذا الحديث فوائد منها أن قوله إن أمي مع أمكما كان قبل أن يسأل ربه فيها فلا

(٢٧) هو إبراهيم بن سعد بن إبراهيم عبد الرحمن بن عوف الزهري أبو إسحاق الزهري، نزيل بغداد روى عن أبيه وشعبة وصالح بن كيسان، وعنه إسماعيل ابن موسى الفزاري وسلمان بن داود الهاشمي وزكريا بن عدي والحسين بن سيار الحراني ووثقه، مات سنة ١٨٣ هـ.

(٢٨) هو زهير بن محمد بن قмир بن شعبة المروزي نزيل بغداد أبو محمد ويقال أبو عبد الرحمن، روى عن أحمد بن حنبل وأبي ثوبة الربيع بن نافع وروح بن عبادة وزكريا بن عدي والقعطي وعبد الرزاق وعنه ابن ماجه وأبو بكر البزار والحسين المحاملي وعبد الله بن أحمد بن حنبل وأبو القاسم البغوي ثقة مأمون، مات سنة ٢٥٨ هـ.

ينافيه حديث إحيائهما وإيمانهما حين سأل ربه في ذلك ومنها أنه صلى الله عليه وآله وسلم جوز أنه إذا سأل ربه فيها يعطيه فدل ذلك على إمكانه، ومنها أن أصحابه جوزوا ذلك عليه واعتقدوا أن من خصائصه ما يقتضى ذلك. وقال ابن سعد فى (الطبقات) أخبرنا عفان (٢٩) بن مسلم ثنا حماد بن سلمة (٣٠) عن ثابت (٣١) عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث قال : قال العباس : يا رسول الله ما ترجو لأبى طالب قال : كل الخير أرجو من ربي فإذا كان هذا رجأؤه لأبى طالب مع أنه أدرك البعثة وعرض عليه الإسلام فأبى فلأبويه أولى. وقال السهيلي فى كتابه (الروض الأنف) روى حديث غريب لعله يصح وجدته بخط جدى أبى عمر بن أحمد بن أبى الحسن القاضى بسند فيه مجهولون

(٢٩) هو عفان بن مسلم بن عبد الله الصغار أبو عثمان البصرى، نزل ببغداد، وروى عن شعبة والحمادين وهمام وخلق، وعنه أحمد ويحيى وإسحاق وابن المدينى والبخارى وأبو زرعة وأبو حاتم وخلق، ثقة ثبت، صاحب سنة مات سنة ٢١٩هـ.

(٣٠) هو حماد بن سلمة بن دينار البصرى أبو سلمة، روى عن أيوب السختياني وأنس بن سيرين وحبيب العلم وخاله حميد الطويل وخلق. وعنه حجاج بن منهال وأبو داود الطيالسى وسليمان بن حرب وابن المبارك وابن مهدي وآخرون. ثقة مات سنة ١٦٧هـ.

(٣١) هو ثابت البناني بن أسلم أبو محمد البصرى، روى عن أنس وعبد الله بن الزبير وأبى برزة الأسلمى وعمر بن سلمة وغيرهم. وعنه حماد بن زيد وحماد ابن سلمة وحميد الطويل وشعبة، ثقة محدث مات سنة ١٢٧هـ.

ذكر أنه نقله من كتاب انتسخ من كتاب معوذ بن داؤد بن معوذ الزاهد يرفعه إلى أبي الزناد عن هشام عن عروة عن عائشة رضى الله عنها أخبرت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سأل ربه أن يحيى أبويه فأحياهما له فأما به ثم أماتهما، والله قادر على كل شيء وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء، ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم أهل أن يختص بما شاء من فضله، وينعم عليه بما شاء من كرامته، انتهى.

وقال القرطبي : ذكر الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية (٣٢) أن الحديث في إيمان أمه وأبيه موضوع يردده القرآن العظيم والإجماع قال الله تعالى ﴿ ولا الذين يموتون وهم كفار ﴾ (٣٣) وقال : ﴿ فيمت وهو كافر ﴾ فمن مات كافرا لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة بل لو آمن عند المعايضة لم ينفع فكيف بعد الإعادة، وفي التفسير أنه عليه الصلاة والسلام قال : ليت شعري ما فعل أبواي، فنزل ﴿ ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ﴾.

قال القرطبي وفي ما ذكره ابن دحية نظر، وذلك أن فضل النبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى وتتابع إلى مماته، صلى الله عليه وآله وسلم، فيكون هذا مما فضله الله تعالى به وأكرمه وليس إحيائهما وإيمانهما به ممتدعا عقلا ولا شرعا، فقد ورد في الكتاب

(٣٢) هو الإمام العلامة الكبير أبو الخطاب عمر بن حسن بن علي بن محمد بن فرج بن خلف الأندلسي الداني الأصل السبتي، سمع ابن بشكوال. مات سنة ٦٣٣ هـ

(٣٣) ١٨ م النساء ٤

العزیز إحياء قتيل بنی اسرائیل وإخباره بقاتله، وكان عيسى عليه السلام يحيى الموتى، وكذلك نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أحيى الله على يديه جماعة من الموتى. وإذا ثبت هذا فما يمتنع من إيمانها بعد إحيائهما زيادة في كرامته وفضله، مع ما ورد من الخبر في ذلك، ويكون ذلك مخصوصا بمن مات كافراً. وقوله فمن مات كافراً إلى آخر كلامه مردود بما روى في الخبر أن الله تعالى رد الشمس على نبيه بعد مغيبها حتى صلى على رضى الله عنه. ذكره الطحاوى (٣٤)، وقال إنه حديث ثابت، فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا وأنه لا يتجدد الوقت لما ردها عليه، فكذلك يكون لأبوى النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قبل الله تعالى إيمان قوم يونس عليه السلام وتوبتهم مع تلبسهم بالعذاب كما هو أحد الأقوال، وهو ظاهر القرآن.

وأما الجواب عن الآية فيكون ذلك قبل إيمانها في العذاب. انتهى كلام القرطبي.

قلت : استدلاله على تجدد الوقت بقصة رجوع الشمس في غاية الحسن، ولهذا حكم بكون الصلاة أداء وإلا لم يكن برجوعها فائدة إذ كان يصبح قضاء العصر بعد الغروب. وقد ظفرت باستدلال أوضح منه وهو

(٣٤) هو صاحب التصانيف أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلامة الأزدي الحجري المصري الحنفى ابن أخت المزنى، سمع يونس بن عبد الأعلى وهارون ابن سعيد الأيلي ومنه الطبراني، ثقة ثبت انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة، ولد سنة ٢٢٧ هـ وله معاني الآثار.

ما ورد أن أصحاب الكهف يبعثون في آخر الزمان ويحجون ويكونون من هذه الأمة تشريفا لهم بذلك. وورد عن ابن عباس مرفوعا أن أصحاب الكهف أعوان المهدي، أخرجه ابن مردويه في تفسيره، فقد اعتد بما يفعله أصحاب الكهف بعد إحيائهم من الموت، ولا بدع في أن يكون الله تعالى كتب لأبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمرا ثم قبضهما قبل استيفائه ثم أعادهما لاستيفاء اللحظة الباقية وآمنا فيها، فيعتد به ويكون تأخير تلك البعثة بالمدة الفاصلة بينهما لاستدراك الإيمان من جملة ما أكرم الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، كما أن تأخير أصحاب الكهف هذه المدة من جملة ما أكرموا به ليحوزوا شرف الدخول في هذه الأمة. ثم إن تعليل ابن دحية للحديث بمخالفة ظاهر القرآن ليس على طريقة أهل الحديث، فقد ذكر الحافظ أبو الفضل ابن طاهر المقدسي في كتابه (الإيضاح) تعليل ابن حزم (٣٥) لحديث الإسراء الذي أخرجه البخاري، وحكمه عليه بأنه موضوع لمخالفة ما ثبت في أحاديث الإسراء الصحيحة، ثم تعقبه بأن قال إن ابن حزم وإن كان إماما في علوم شتى إلا أنه لم يسلك طريق الحفاظ في تعليل الحديث، وذلك أن الحفاظ إنما يعطون الحديث من طريق الإسناد الذي هو المرقاة إليه، وهذا الرجل عله من حيث اللفظ، انتهى. وأما حديث «ليت شعري

(٣٥) هو الحافظ الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف القرطبي الظاهري، له المحلى وشرحه والمثل والنحل والإيضاح، مات سنة ٤٥٧ هـ، روى عنه أبو الحسن شريح بن محمد.

ما فعل أبواي، فمعضل ضعيف لا تقوم به حجة، قال الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس (٣٦) في سيرته بعد أن ذكر رواية ابن إسحاق في أن أبا طالب أسلم عند الموت ما نصه: وقد روى أن عبد الله بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسلما أيضا وأن الله أحياهما له فأما به، وروى ذلك في حق جده عبد المطلب، قال: وهو مخالف لما خرجه أحمد عن أبي رزين العقيلي قال: قلت: يا رسول الله أين أمي قال أمك في النار، وقلت فأين من مضى من أهلك قال أما ترضى أن تكون أمك مع أمي؟

قال وذكر بعض أهل العلم في الجمع بين هذه الروايات ما حاصله أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل راقيا في المقامات الستية صاعدا في الدرجات العلية إلى أن قبض الله روحه الطاهرة إليه وأزلفه بما خصه به لديه من الكرامة حين القدوم عليه، فمن الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن لم تكن وأن يكون الإحياء والإيمان متأخرا عن تلك الأحاديث فلا تعارض، انتهى.

قلت: هذا كله كلامي على الحديث من غير أن أقف على كلام أحد تكلم عليه، ثم راجعت (لسان الميزان) تأليف إمام الحفاظ أبي الفضل ابن

(٣٦) هو الحافظ الإمام العلامة الخطيب أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن سيد

الناس اليعمرى الأندلسي الإشبيلي خطيب تونس وعالم المغرب ولد سنة ٥٩٧هـ.

ومات سنة ٦٥٩هـ.

حجر فوجدته ساق كلام (الميزان) في ترجمة عبد الوهاب بلفظه، ثم قال ما نصه : قلت : تكلم الذهبي في هذا الموضع بالظن فسكت عن المتهم بهذا الحديث، وقد قال الدارقطني في (غرائب مالك) ما نصه : ويروى عن مالك عن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها حديثان متكرران باطلان، فذكر هذا الحديث من طريق علي بن أحمد الكعبي عن أبي غزية، ثم قال : وهذا كذب علي مالك والحمل فيه علي أبي غزية، والمتهم به هو أو من حدث عنه، وعبد الوهاب بن موسى ليس به بأس. ثم قال الحافظ ابن حجر: وأخرج ابن الجوزي في (الموضوعات) عن عمر بن الربيع الزاهد ثنا علي بن أيوب الكعبي حدثني محمد بن يحيى أبو غزية الزهري عن عبد الوهاب بن موسى فذكر الحديث مطولا، ثم ساق من طريق آخر فيه محمد بن الحسن النقاش المفسر قال : ثنا أحمد بن يحيى ثنا محمد بن يحيى عن عبد الوهاب، ثم قال ابن الجوزي : النقاش ليس بثقة وأحمد ابن يحيى ومحمد بن يحيى مجهولان.

قال الحافظ ابن حجر : فأما قوله علي ابن أيوب الكعبي فوافقه ابن عساكر عليه لما أخرج هذا الحديث بطوله كما سيأتي في ترجمة عمر ابن الربيع، وسمى الدارقطني أباه أحمد وأما محمد بن يحيى فليس بمجهول بل هو معروف له ترجمة جيدة في (تاريخ مصر) لأبي سعيد ابن يونس، ورماه الدارقطني بالموضع وهو أبو غزية محمد بن يحيى

الزهري وسيأتي ذكره في موضعه، وأما أحمد بن يحيى فلم يظهر من (مسند النقاش) ما يتميز به، وفي طبقة جماعة كل منهم أحمد بن يحيى أقربهم إلى هذا السند أحمد بن يحيى بن زكريا فإنه مصري، وعلى الكعبي مصري كما قاله الدارقطني، وقد ذكر الخطيب عبد الوهاب بن موسى صاحب الترجمة في الرواة عن مالك، وكناه أبا العباس، وأورد له من طريق سعيد بن أبي مريم عنه عن مالك عن عبد الله بن دينار أثرا موقوفا على عمر رضي الله عنه في قصة له مع كعب الأحبار، وقال: إنه تفرد به، ولم يذكر فيه جرحا وأورده الدارقطني في (الغرائب) من هذه الترجمة وقال: هذا صحيح عن مالك. ونقل ابن الجوزي عن شيخه محمد بن ناصر إن هذا الحديث موضوع لأن قبر أمه بالأبواء كما ثبت في الصحيح، وأبو غزية هذا زعم أنه بالحجون، وسبق ابن الجوزي إلى الحكم بموضعه ومعارضته لحديث بريدة الجوزقاني في (كتاب الأباطيل) وسيأتي ترجمة عمر بن الربيع مع زيادة في الكلام على حديث أبي غزية عن عبد الوهاب بن موسى، هذا كله كلام (لسان الميزان) في ترجمة عبد الوهاب، وقوله في أحمد ابن يحيى إنه لم يظهر من (مسند النقاش) ما يتميز به يقال عليه: قد ظهر من السند الذي ساقه ابن شاهين في (الناسخ والمنسوخ) عنه ما يتميز به من حيث نسبه الحضرمي.

وقال في (لسان الميزان) في ترجمة أبي غزية: هو أبو غزية

الصغير زهرى كان بمصر روى عنه جماعة منهم. وقد ذكر أبو سعيد ابن يونس نسبه فقال : محمد بن يحيى بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف أبو عبد الله ولقبه أبو غزية مدنى قدم بمصر له كنيستان، وذكر فيمن روى عنه إسحاق بن إبراهيم الكباس وزكريا بن يحيى البغوى (٣٦) وسهل بن سوار ومحمد بن فيروز ومحمد ابن عبد الله بن حكيم، قال ومات يوم عاشوراء سنة ثمان وخمسين ومائتين.

وقال الدارقطنى فى (غرائب مالك) ثنا أبو بكر النقاش المصرى ثنا محمد بن عبد الله بن حكيم بمصر ثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهرى ثنا عبد الوهاب بن موسى ثنى مالك عن أبى شهاب ثنى سعيد ابن المسيب (٣٧) ثنى عبد الله بن عمر، لما ولى على فذكر قصة فيها فقال على إن أبا بكر سبقنى إلى أربع ... الحديث.

قال الدارقطنى لا يثبت عن الزهرى ولا عن مالك وأبو غزية هذا هو الصغير مذكر الحديث، ثم أورد من طريق على بن أحمد فقال وكان ثقة: ثنا أبو غزية محمد بن يحيى ثنى أبو العباس عبد الوهاب بن موسى بهذا السند إلى ابن عمر، رفعه: اليمين مقدمة أو مائة. وقال :

(٣٦) له ذكر فى سير أعلام النبلاء للذهبى

(٣٧) هو سعيد بن المسيب بن حزن المخزومى أبو محمد المدنى سيد التابعين. فقيه

الفقهاء مات سنة ٩٤ هـ

لا يصح هذا عن مالك ولا عن الزهرى، والحمل فيه على أبى غزية،
انتهى، وأما أبو غزية فهو محمد بن موسى الأنصارى المدنى القاضى،
يروى عن مالك وفليح بن سليمان وعنه إبراهيم بن المنذر والزيبر بن
بكار وعمر بن محمد بن فليح وطائفة، ضعفه وعنه إبراهيم بن المنذر
والزيبر بن بكار وعمر بن محمد بن فليح (٣٨) وطائفة ضعفه البخارى
وابن حبان وأبو حاتم والعقلى (٣٩) وابن عدى (٤٠) ووثقه
الحاكم، مات سنة سبع ومائتين.

وقال فى ترجمة على بن أحمد الكعبى: مصرى منهم روى عن
أبى غزية عن عبد الوهاب عن مالك عن أبى الزناد عن هشام بن
عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها حديثين، أحدهما أن النبى
صلى الله عليه وآله وسلم لما حج مر بقبر أمه آمنه فسأل الله عز وجل
فأحيها فأمنت فردها إلى حفرتها.

(٣٨) هو محمد بن فليح بن سليمان الخراسانى، ثقة.

(٣٩) هو الحافظ الإمام أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد بن صاعد،
صاحب كتاب الضعفاء، مات سنة ٣٢٢ هـ.

(٤٠) هو الإمام الحافظ الكبير أبو أحمد بن عدى بن عبد الله بن محمد بن مبارك
الجرجاني ويعرف أيضا بابن القطان صاحب الكامل فى الجرح والتعديل، ولد
سنة ٢٧٧ هـ ومات ٣٦٥ هـ، روى عن محمد بن عثمان بن أبى شيبة والنسائي
وأبى يعلى، وعنه ابن عقدة والماليني وحمزة السهمي.

والثاني بهذا الإسناد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ينقل الحجارة للبيت عريانا فجاءه جبريل وميكائيل فواراه وطفقا يحملان الحجارة عنه شفقة من الله عليه، قال الدارقطني والإسناد والمقتان باطلان ولا يصح لأبي الزناد عن هشام عن أبيه عن عائشة شيء، وهذا كذب على مالك والحمل فيه على أبي غزية والمتهم بوضعه هو أو من حدث عنه، وعبد الوهاب بن موسى ليس به بأس، وقال في ترجمة على بن أيوب الكعبي بعد أن ساق قول (الميزان) لا يكاد يعرف.

قلت : قد عرفه الدارقطني وسماه على بن أحمد وقال في ترجمة عمر بن الربيع بن سليمان أبي طالب الخشاب بعد أن ساق قول الذهبي . ذكره الفرات في تاريخه وأنه كذاب ما نصه : وضعفه الدارقطني في غرائب مالك، وقال مسلمة بن قاسم : تكلم فيه قوم ووثقه آخرون، وكان كثير الحديث، توفي سنة أربعين وثلاثمائة بمصر، وأورد له ابن عساكر في غرائب مالك من طريق الحسين بن علي بن محمد بن إسحاق الحلبي ثنا أبو طالب عمر بن الربيع الخشاب ثنا علي بن أيوب الكعبي من ولد كعب بن مالك ثنى محمد بن يحيى الزهرى أبو غزية ثنى عبد الوهاب بن موسى ثنى مالك عن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن عائشة قالت : حج بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع فذكر الحديث كما تقدم من طريق الخطيب سواء .

قال ابن عساكر: هذا حديث منكر من حديث عبد الوهاب بن موسى

الزهري المدني عن مالك، والكعبي مجهول والحلي صاحب غرائب
ولا يعرف لأبي الزناد رواية عن هشام وهشام لم يدرك عائشة فلعله
سقط من الكتاب عن أبيه انتهى.

قال الحافظ ابن حجر ولم (.....) (٤١) عمر بن الربيع ولا على بن
محمد بن يحيى وهما أولى أن يُلصق بهما هذا الحديث من الكعبي
وغيره، وقد تقدم ذلك في ترجمة عبد الوهاب بن موسى وفيه إثبات
قوله عن أبيه التي ظن أنها سقطت فهو كما ظن. انتهى.

هذا مجموع كلام الحافظ في (لسان الميزان) فيما يتعلق بهذا الحديث
ورجاله، وقد تلخص لي منه ومما قدمته أن الحديث غير موضوع
قطعا. وبيان ذلك أنه ليس في رواته من أجمع على جرحه فإن مدار
الحديث على أبي غزية عن عبد الوهاب وعبد الوهاب وثقه الدارقطني
في موضعين فقال في موضع ثقة، وفي موضع : ليس به بأس. وأقره
الحافظ ابن حجر ولم ينقل عن أحد فيه جرح، ومن فرقهم من مالك
فصاعدا لا يسأل عنهم لجلالتهم، والساقط بين هشام وعائشة عروة وقد
ثبت في طريق آخر، وأبو غزية قال فيه الدارقطني : منكر الحديث،
وقال ابن الجوزي : مجهول، وترجمه ابن يونس ترجمة جيدة أخرجه
عن حد الجهالة والكعبي أكثر ما قيل فيه مجهول، وقد عرف. وعمر بن

(٤١) بياض في الأصل

الربيع نقل سلامة توثيقه عن آخرين وأنه كان كثير الحديث، فهذا الطريق
 بهذا الاعتبار ضعيف لا موضوع على الصلعة فكيف وله متابعة أجود
 منه، وهو طريق أحمد بن يحيى الحضرمي عن أبي غزية فإن هذا
 الطريق أجود من حيث إن طريق الكعبي فيها رجال على الولاء تكلم
 فيهم الحلبي وعمر بن الربيع والكعبي، والحضرمي لم يتكلم فيه لا
 بالجهالة حيث اقتصر فيه على أحمد بن يحيى، وقد عرف لما نسب
 باللين وهي من ألفاظ التعديل الذي يحكم بحديث صاحبه بالحسن إذا
 توبع ولو تفرد به لحكمت له بالحسن، فالحديث إذا من أفراد أبي غزية
 ومذاهره عليه. وحكم ابن عساكر على هذا الحديث بأنه مذكر حجة لما
 قلناه من أنه ضعيف لا موضوع، لأن المنكر من الضعيف وبينه وبين
 الموضوع فرق كما هو معروف في فن الحديث، وأقوى ما اعتمد عليه
 في هذا الحديث قول ابن عساكر فإن أكثر ما قيل في رواية أبي غزية
 منكر الحديث، فيكون الحديث الذي تفرد به منكر. وضابط المنكر أنه
 الذي ينفرد به الراوي الضعيف مخالفا لرواية الثقات. وهذا الحديث
 كذلك إن سلم مخالفته لحديث الزيادة ونحوه فإن اتفقت المخالفة كان
 ضعيفا فقط، وهي مرتبة فوق المنكر أصلا حالاً منه ودون المنكر
 مرتبة أدون حالاً منه وهي مرتبة المتروك، والمتروك أيضا من قسم
 الضعيف الذي ليس بموضوع.

فصل

حديث الزيادة الذي حكم الذهبي بصحته لم يخرج أحد من الأئمة الستة بل أخرجه الحاكم من حديث ابن مسعود وأحمد من حديث بريدة والطبراني من حديث ابن عباس وأشار الحافظ ابن حجر في شرح البخاري إلى أن من حكم بصحته فليس بكونه صحيحه لذاته بل لوروده من هذا الطريق، وقد تأملت طرق الحديث فوجدتها كلها معلولة والله الحمد. فأما حديث ابن مسعود فأخرجه الحاكم من طريق أيوب بن هاني^(٤٢) عن مسروق عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينظر في المقابر، وخرجنا معه فأمرنا فجلسنا ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها فاجاه طويلا ثم ارتفع نحيبه باكيا فبكينا لبكائه، ثم أقبل إلينا فلتقاه عمر رضى الله عنه فقال : يا رسول الله ما الذي أبكاك فقد أبكنا وأفزعنا فجاه فجلس إلينا فقال : أفزعكم بكائي : قلنا نعم . قال : إن القبر الذي رأيتموني أناجي فيه قبر آمنة بنت وهب، وإنى استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فاستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه، ونزل على ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ الآيتين، فأخذني ما يأخذ الولد للوالدة من الرقة فذلك الذي أبكاني. قال الحاكم هذا حديث صحيح وتعقبه الذهبي في (مختصر المستدرک) فقال أيوب بن هاني

(٤٢) له ترجمة وافية في تهذيب التهذيب

ضعفه ابن معين^(٤٣)، انتهى. فهذه علة تقدر في صحته، والعجب من الذهبي كيف يصحح هذا الحديث في (الميزان) اعتماداً على تصحيح الحاكم ثم يخالفه في (مختصر المستدرک) وفي الحديث علة ثانية وهي مخالفته لما في (صحيح البخاري) وغيره أن هذه الآية نزلت في موت أبي طالب واستغفار النبي صلى الله عليه وسلم له لم يكن. وفيها ورد أحاديث أخر في (الترمذي) وغيره فيها نزول الآية على سبب غير قصة آمنة فإن كان الذهبي رد حديث الإحياء لمخالفة هذا الحديث فهذا الحديث يرد المخالف المقطوع بصحته في (صحيح البخاري) وغيره. وأما حديث ابن عباس رضي الله عنهما فأخرجه الطبراني ولفظه إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أقبل من غزوة تبوك وأعيم هبط من ثنية عسفان فنزل على قبر أمه، وذكر حديث ابن مسعود في نزول الآية، وله علقان مخالفة الحديث الصحيح كما سبق وإسناده ضعيف. وأما حديث بريدة فأخرجه ابن سعد وابن شاهين بلفظ لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة أتى قبراً فجلس إليه وذكر نحوه وفي لفظ آخر (...)^(٤٤) وابن شاهين من طريق آخر لما قدم مكة أتى رسم

(٤٣) هريحي بن معين بن عون الغطفاني مولاهم البغدادي، أحد أئمة الأعلام، روى عن ابن عبيدة وأبي أسامة وعبد الرزاق وعفان وغندر وهشيم وخلق. وعنه البخاري ومسلم وأبو داود وعبد الله بن أحمد بن حنبل وهناد وابن سعد وخلق. مات سنة ٢٠٣ هـ.

(٤٤) بياض في الأصل

قبر، وعن جرير من طريق آخر : لما قدم مكة وقف على قبر أمه حتى سخن عليه الشمس رجاء أن يؤذن فيستغفر لها فنزلت . وفي هذا الحديث من علة المخالفة ما تقدم وله علة أخرى قال ابن سعد في (الطبقات) بعد تخريجه : هذا غلط وليس قبرها بمكة ، وقبرها بالأبواء . انتهى .

فبان بهذا أن طرق الحديث كلها معولة وأما قصة نزول الآية الناهية عن الاستغفار فإنه يمكن الجمع بينها وبين الأحاديث الصحيحة في تقدم نزولها في قصة أبي طالب وغيره . وأصح طرق هذا الحديث ما أخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين عن بريدة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم زار قبر أمه في ألف مقنع فما رأى أكثر باكيا من ذلك اليوم ، وهذا القدر لا علة له وليس فيه مخالفة لشيء من الأحاديث ولا نهى عن الاستغفار ، وقد يكون البكاء لمجرد الرقة التي تحصل عند زيارة الموتى من غير سبب تعذيب ونحوه ، وهذا ما فتح الله لى بتحريره في هذا المحل والله الحمد .

فصل

حاصل ما تقرر في حديث الإحياء أن الذين حكموا بوضعه من الأئمة الدارقطني والجوزقاني وابن ناصر وابن الجوزي وابن دحية ، والذين حكموا بضعفه فقط وأنه غير موضوع ابن شاهين والخطيب وابن عساكر والسهيلي والقرطبي والمحب الطبري وابن سيد الناس ، ووجه أخذه من كلام ابن شاهين أنه أورده على أنه ناسخ لحديث

الزيارة، فلو كان عنده موضوعا لم يصح أن يحتج به على النسخ، وقد
نظرنا بحسب الأصول فوجدنا العال التي عال بها الفرقة الأولى كلها
غير مؤثرة، فلذلك رجحنا قول الفرقة الثانية والله الحمد. وقد وافق على
ما قلته من أن الحديث ضعيف لا موضوع الحافظ شمس الدين ابن
ناصر الدين محدث دمشق من المتأخرين فإنه أورد الحديث من طريق
الخطيب في كتابه المسمى (مورد الصادي في مولد الهادي) وأنشد
عقبه:

حبا لله البني مزيد فضل على فضل وكان به رهوفا
فأحيا أمه وكذا أباه لإيمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم هذا قدير وإن كان الحديث بسه ضعيفا

فصل

هذا كله فيما يتعلق بإحيائها وقد ظفرت بأثر يدل على أنها ماتت
وهي موحدة: أخرج أبو نعيم في (دلائل النبوة) من طريق الزهري
عن أم سلمة بنت أبي رهم^(٤٥) عن أمها قالت: شهدت أم رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم في علتها التي ماتت فيها، ومحمد صلى
الله عليه وآله وسلم غلام يقع له خمس سنين عند رأسها فنظرت إلى
وجهه ثم قالت:

(٤٥) لها ترجمة وافية في خلاصة تذهيب الكمال.

بارك الله فيك من غلام	يا بن الذى من حومة الحمام
نجا بعون الملك المتعالم	فودى غداة الضرب بالسهام
بمائة من إبل سوام	إن صبح ما أبصرت فى المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام	من عند ذى الجلال والإكرام
تبعث فى الحل وفى الحرام	تبعث بالتحقيق والإسلام
دين أبيك البر إبراهيم	فالله أنهاك عن الأصنام

أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت: كل حى ميت، وكل جديد بال، وكل كثير يفتنى، وأنا ميتة
وذكرى باق. وقد تركت خيرا، وولدت طهرا. ثم ماتت فكنا نسمع نوح
الجن عليها فحفظنا من ذلك :

نبكى الفتاة البرة الأمينة	ذات الجمال العفة الرزينة
زوجة عبد الله والقريته	أم نيسى الله ذى السكينة
وصاحب المنبر فى المدينة	صارت لدى حفرتها رهينة

هذا القول من أم النبى صلى الله عليه وآله وسلم صريح فى أنها
موحدة إذ ذكرت دين إبراهيم وبعث ابنها صلى الله عليه وآله وسلم

بالإسلام، من عند ذي الجلال والإكرام، ونهيه عن عبادة الأصنام وموالاتها مع الأقوام، وهل التوحيد شيء غير هذا. التوحيد الاعتراف بالله وإلهيته وأنه لا شريك له والبراءة من عبادة الأصنام ونحوها وهذا القدر كاف في التنزيه من الكفر بثبوت صفة التوحيد في الجاهلية، قبل البعث، وإنما يشترط قدر زائد على هذا بعد البعثة. وقد قال العلماء في حديث الذي أمر بنبيه عند موته أن يحرقوه ويسحقوه ويذروه في الريح، وقوله: لكن قدر الله على لي عذبي إن هذه الكلمة لا تنافي الحكم بإيمانه لأنه لم يشك في القدرة، ولكن جهل فظن أنه إذا فعل ذلك لا يعاد، ولا يظن بكل من كان في الجاهلية أنه كان كافرا فقد كان جماعة تحنفوا وتركوا ما كان عليه أهل الشرك وتمسكوا بدين إبراهيم عليه السلام وهو التوحيد كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل، فكلهم محكوم بإيمانهم في الحديث، ومشهود لهم بالجنة، فلا بدع أن تكون أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم، كيف وأكثر من تحنف إنما كان سبب تحنفه ما سمعه من أهل الكتب والكهان قرب زمته صلى الله عليه وآله وسلم من أنه قرب بعث نبي من الحرم صفتة كذا وأم النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمعت من ذلك أكثر مما سمعه غيرها وشاهدت في حمله وولادته من الآيات الباهرة مما تحمل على التحنف ضرورة، ورأت النور الذي خرج منها وأضاءت منه قصور الشام حتى رأتها كما ترى (...) (٤٦) وقالت لحليمة حين جاءت به وشقت صدره وهي

(٤٦) بياض في الأصل

مذعورة: أخشيت عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وإنه لكائن لابنى هذا شأن، فى كلمات آخر من هذا النمط، وقدمت به المدينة عام وفاتها وسمعت كلام اليهود فيه، وشهادتهم له بالنبوة، ورجعت إلى مكة فماتت فى الطريق فهذا كله مما يؤيد أنها تحنفت فى حياتها.

فصل

فإن قلت : كيف تدرك أنها كانت موحدة فى حياتها ومتحنفة وهذا الحديث فى أنه استأذن فى الاستغفار لها فلم يؤذن له وقوله فى الحديث الآخر مع أمكما يؤذنان بخلاف ذلك وما أنت أجبت عنهما فيما يتعلق بحديث الإحياء بأنهما متقدمان فى التاريخ، وذلك متأخر فكان ناسخا، فماذا تقول فى هذا فإن الصوت على التوحيد ينفى التعذيب البتة.

قلت: أحسن ما يقرر به الجواب أن يقال إن قوله أمى مع أمكما صدر قبل أن يوحى إليه أنها من أهل الجنة كما قال صلى الله عليه وآله وسلم فى تبع لا أدري تبعا مؤمنا كان أم لا، أخرجه الحاكم وابن شاهين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه، وقال صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن أوحى إليه فى شأنه: لا تسبوا تبعا فإنه كان قد أسلم، أخرجه ابن شاهين فى (الناسخ والمنسوخ) أيضا من حديث سهل بن سعد^(٤٧) وابن عباس رضى الله عنهما، فكانه صلى الله عليه وآله وسلم أولا لم يوح إليه

(٤٧) له ترجمة وإقية فى تهذيب التهذيب وخلاصة تذهيب الكمال

فى شأنها أو لم يبلغه القول الذى قاله عند موتها أو لم يذكره فإنه كان ابن خمس سنين، فأطلق القول بأنها مع أمهما جريا على قاعدة أهل الجاهلية ثم أوحى إليه أمرها بعد ذلك ويؤيد ذلك أن فى آخر الحديث ما سألتها ربي، فهذا يدل على أنه لم يكن بعد بينه وبين ربه مراجعة فى أمرهما، ثم رفع بعد ذلك، وأما حديث عدم الإذن فى الاستغفار فلا يلزم منه الكفر بدليل أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان ممدوعا فى أول الإسلام من الصلاة على من عليه دين لم يترك له وفاء، ومن الاستغفار له وهو من المسلمين، وعال ذلك بأن استغفاره مجاب على الفور فمن استغفر له وصلى عقب دعائه وصل منزله الكريم فى الجنة. والمديون محبوس عن مقامه حتى يقضى دينه، كما فى الحديث «نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى»، فتكون أم النبى صلى الله عليه وآله وسلم مع كونها متحنفة كانت محبوسة فى البرزخ عن الجنة لأمر آخر غير الكفر اقتضت أن لا يؤذن له فى الاستغفار لها إلى أن أذن الله فيه بعد ذلك.

ويحتمل أن يجاب عن الحديثين بأنها كانت موحدة غير أنها لم يبلغها شأن البعث والنشور، وذلك أصل كبير فأحيانا الله تعالى له حتى آمنت بالبعث وجميع ما فى شريعته، ولذلك تأخر إحيائها إلى حجة الوداع حتى تمت الشريعة، ونزل ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ فأحييت حتى آمنت بجميع ما أنزل عليه وهذا معنى نفيس بليغ.

فصل

قد تأملت بالاستقراء، فوجدت جميع أمهات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مؤمنات فلا بد أن تكون أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كذلك وبيان ذلك يكون بالتفصيل وبالإجمال: أما التفصيل فأم عيسى عليه السلام مريم صديقة بنص القرآن، وذهب طائفة إلى أنها نبيه لذكرها في سورة الأنبياء مقترنة بهم، وأم إسحاق سارة مذكورة في القرآن وقيل أيضا بنبوتها لخطاب الملائكة لها وأم موسى وهارون عليهما السلام مذكورة أيضا في القرآن وقيل أيضا بنبوتها لقوله تعالى ﴿ وأوحينا إلى أم موسى ﴾ وأم شيث حواء أم البشر عليها السلام، وقيل بنبوتها ووردت الأحاديث والآثار بإيمان هاجر أم إسماعيل وأم يعقوب وأمهم أولاده وأم داود وسليمان وزكريا ويحيى وشمويل وشمعون وذى الكفل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ونص بعض المفسرين على إيمان أم نوح عليه السلام لقوله ﴿ رب اغفر لي ولوالدي ﴾ ذكر الكرمانى فى هذه الآية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لم يكفر لنوح والد بينه وبين آدم عليه السلام ثم حكى قولاً غريباً أنهما كانا كافرين قلت: الصواب الأول والأثر المذكور أخرجه ابن سعد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام، ونص جماعة على إيمان أم إبراهيم ورجحه ابن حبان فى (البحر) فى تفسير سورة إبراهيم واسمها نوما من ولد

أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام، حكاها ابن سعد في (الطبقات).
وأما الإجمال فأخرج في (المستدرك) وصححه عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال : كانت الأنبياء من بنى إسرائيل لإعشرة : نوح
وهود وصالح ولوط وشعيب وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب
ومحمد عليه السلام، وبنو إسرائيل كلهم كانوا مؤمنين لم يكن فيهم كافر
إلى أن بعث الله عيسى عليه السلام فكفر به من كفر فأمهات الأنبياء
الذين من بنى إسرائيل كلهم مؤمنات، ولم يبعث بعد عيسى أحد في
الأمم، أما العشرة فقد ثبت إيمان أم إسماعيل وإسحاق ويعقوب، وذكر
إيمان أم نوح وإبراهيم، وبقي أم هود وصالح ولوط وشعيب يحتاج إلى
نقل أو دليل، والظاهر إن شاء الله تعالى إيمانهم، فقد ثبت بهذا
الاستدلال إيمان الجميع، وكان السر في ذلك ما يرينه من الدور كما ورد
في الحديث، وكذلك أمهات المؤمنين يرين.

فصل

قد عرف مما ذكرناه دليلاً على أن أم النبي صلى الله عليه وسلم
ليست في النار: كونها متحفة، وإحيائها حتى آمنت، فيضم إلى ذلك
دليل ثالث وهو كونها من الفترة والأحاديث في أهل الفترة معروفة
مشهورة، وقال الله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ وقد
أورد صاحب (مرآة الزمان) كلام جده ابن الجوزي على الحديث السابق
ثم قال عقبه، وقال قوم قد قال الله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا ﴾ والدعوة لم تبلغ أباه وأمه فما ذنبهما.

فصل

ودليل رابع، وهو ما ثبت في الصحيحين أن أبا لهب رأى في نوم فقال لم ألق بعدكم خيرا غير أنى سقيت فى هذه لعناقتى ثوبية، وثوبية مولاة لأبى لهب كان أبو لهب أعتقها وكانت أرضعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا سقى أبو لهب وأعتق منه هذا القدر من النار مع شدة عداوته للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وشدة ما لقى منه لكونه أعتق من أرضعته فما ظلك بمن حملته فى بطنها تسعة أشهر وأرضعته أياما وربته سنين وهى أمه.

فصل

ودليل خامس، قال ابن الجوزى أخبرت عن أبى الحسن يحيى بن إسماعيل العلوى أنا عبد الله بن محمد بن على بن الحسن الحسينى ثنا زيد ابن حاجب : ثنا محمد بن عمار العطار ثنا على بن محمد بن موسى الغطفانى ثنا محمد بن هارون العلوى ثنا محمد بن على (...) (٤٨) العباس ثنا أبى ثنا على بن موسى بن جعفر ثنا أبى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على بن الحسين عن أبيه عن على مرفوعا هبط جبرئيل عليه السلام على فقال إن الله يقرئك السلام ويقول حرمت النار على صلب أنزلك ويطن حملك وحجر كفالك. أما الصلب فعبد الله وأما البطن فأمنة وأما الحجر فعمه يعنى أبا طالب، وفاطمة بنت أسد، قال ابن

(٤٨) بياض فى الأصل.

الجوزى فى إسناده كما ترى وأبو الحسن العلوى رافضى غال. قلت:
فاطمة بنت أسد آمنت وأصبحت وهاجرت رضى الله عنها.

فصل

العجب ممن يقطع بكون أبوى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى
النار اعتمادا على قوله «أمى مع أمكماء» وقوله إن أبى وأباك فى النار.
ونحوهما من الأحاديث ويلغى ما عارضهما بالكلية.

والمسألة نظير صحيح للناس فيها خلاف، وهى مسألة أطفال
المشركين، فقد ورد فى أحاديث كثيرة الجزم بأنهم فى النار، وفى
أحاديث قليلة أنهم فى الجنة، وصحح الجمهور هذا، منهم النووي وقال
إنه المذهب الصحيح المختار الذى صار إليه المحققون لقوله تعالى
﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ وإذا كان لا يعذب البالغ لكونه
لم يبلغ الدعوة فغيره أولى، هذا كلام النووي. وذكر غيره أن أحاديث
كونهم فى النار منسوخة بأحاديث كونهم فى الجنة، ويوضح النسخ ما
أخرجه ابن عبد البر^(٤٩) عن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت
خديجة رسول الله صلى وآله وسلم عن أولاد المشركين، فقال : هم مع

(٤٩) هو الحافظ الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن
عاصم النعمرى القرطبى ولد سنة ٣٦٨، ومات سنة ٤٦٣ هـ، له عدة مصنفات
منها شرح الموطأ والاستيعاب وفضل الصحابة والكنى والمغازى والأنساب
والشواهد.

آبائهم، ثم سألته بعد ذلك فقال الله أعلم ما كانوا عاملين، ثم سألته بعدما استحکم الإسلام فنزلت ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ فقال : إنهم على الفطرة أو قال في الجنة . فهذا يدل على النسخ، وكذا القول في الأحاديث التي وردت في أن أبوى النبی صلى الله عليه وآله وسلم في النار كلها منسوخة إما بإحيائهما وإيمانهما وإما بالوحي في أن أهل الفترة لا يعذبون . ومن جملة الأقوال في الأطفال أنهم في مشيئة الله تعالى لا يحكم عليهم بشيء، وهذا هو المنقول عن الشافعي والأئمة لحديث الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن أطفال المشركين فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين، ومعناه أن من علم الله منه الإيمان لو عاش أدخله الجنة، ومن علم منه الكفر لو عاش أدخله النار، وكذا يقال في أبوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والظن بهما أنهما لو عاشا إلى بعثه لبادرا إلى الإيمان به مسرعين، فيكونان من أهل الجنة، ومن جملة الأقوال في الأطفال أنهم يمتحنون في الآخرة فمن أطاع أدخله الله الجنة ومن عصى أدخله النار، وصححه البيهقي، وهذا بعينه ورد به الأحاديث الصحيحة في أهل الفترة، وأخرج البزار وأبو يعلى عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يؤتى بأربعة يوم القيامة : بالمولود والمعتوه ومن مات في الفترة والشيخ الفاني، كلهم يتكلم بحجته، فيقول الله تعالى : لتقومن النار، ويقول لهم إني كنت أبلغت إلى عبادي رسلا من أنفسهم وإني رسول نفسي إليكم ادخلوا هذه، فيقول من

كتب عليه الشقاء : يا رب أتدخلناها وما كنا نعرف. وأما من كتب له السعادة فيمضى فيقتحم فيها مسرعا فيقول الله قد عصيتموني فأنتم لرسلى أشد تكذيبا، ومعصية. فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار.

وأخرج أحمد وابن راهويه في مسنديهما والبيهقي في (كتاب الاعتقاد) وصححه عن الأسود بن سريع عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: أربعة يحتجون يوم القيامة رجل لا يسمع شيئا ورجل أحرق ورجل هرم ورجل مات في فترة. إلى أن قال وأما الذي مات في الفترة فيقول : رب ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواليقهم ليطيعه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها يسحب إليها. وأخرج البزار عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الهالك في الفترة والمعتوه والمولود، فيقول الهالك في الفترة لم يأتني كتاب، ويقول المعتوه: رب لم تجعل لي عقلا أعقل به خيرا ولا شرا، ويقول المولود رب لم أدرك عقلا، فترفع لهم نار فيقال لهم : ردوها فيردها من كان في علم الله سعيدا لو أدرك العمل، ويمسك عنها من كان في علم الله شقيا لو أدرك العمل.

وأخرج البزار عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل إلينا رسولا ولم يأتنا لك

أمر، ولو أرسلت إلينا رسولا لكنا أطوع عبادك، فيقول لهم ربهم أرايتم إن أمرتكم بأمر تطيعونني، وذكر نحو ما تقدم، وأخرج الطبراني وأبو نعيم من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه مثله وفي الباب أحاديث أخرى، وهذه الأحاديث هي العمدة في المسألة وكل ما شابهها وعليها بنى الفقهاء أصولهم ومذاهبهم في أنه لا يحكم على أحد معين من أهل الفترة أنه في النار، بل هو في مشيئة الله موقوف على الامتحان، وقد صرح في حديث ثوبان بجريان هذا الحكم في أهل الجاهلية عبدة الأوثان فمن لم يثبت عنه عبادة فهو من باب أولى وأبوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يثبت عنهما ما ثبت من أهل الجاهلية من عبادة الأوثان، بل ولا ثبت ذلك من أحد من أصوله بل ثبت أو كاد يثبت انتفاؤه عن جميع أجداده كما سيأتى الإشارة إليه. ويؤخذ من هذه الأحاديث الرد على ابن دحية في كلامه السالف عنه وقوله إن الإيمان بعد الموت لا ينفع، فإذا كان الإيمان ينفع أهل الفترة في الآخرة التي ليست بدار تكليف، وقد شاهدوا جهنم بشهادة هذه الأحاديث فلأن ينفعهم بالإحياء في الدنيا من باب أولى، وعلى تقدير عدم ثبوت إحيائهما في الدنيا فالظن بهما عند الامتحان في الآخرة أن يطيعا ويهديهما الله لتقرر به عين النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فصل

ظهر لى نكتة لطيفة جدا فى قوله تعالى ﴿ ولا تذر واردة وزر
أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ (٥٠) حيث قرن بين
هاتين الجملتين فإن الأولى متعلقة بأطفال المشركين اعتمد بها النبى
صلى الله عليه وآله وسلم حين نزلت وأخبرهم بأنهم فى الجنة بعد
إخباره بأنهم فى النار كما تقدم فى حديث عائشة رضى الله عنها،
والثانية متعلقة بأهل الفترة وهم والأطفال مشتركون فى عدم التعذيب
لأمرين : أحدهما عدم بلوغ الدعوة لعدم العقل المدرك لها فى الأطفال
وانتفائها بالكلية وعدم ورودها فى أهل الفترة، والثانى عدم التكليف
لعدم شرطه، وهو البلوغ فى الأطفال وورود الشرع فى أهل الفترة إذ لا
حكم قبل البعثة، فلهذا قرنت الجملتان، وذلك من بدائع أسرار القرآن.
ولهذا اعتمد النبى صلى الله عليه وآله وسلم على الجملة الثانية فى
الحكم على أهل الفترة بأنهم يمتحنون فى الآخرة، ولا يبادرون بالعذاب
بعد إخباره بما يقتضى أنهم فى النار ابتداء، فكان الإخبار أولا فى
الفريقين على حد سواء، والنازل فيهما جملتان مقترنتان والإخبار ثانيا
متحد عنهما أيضا وهو أنهم لا يعذبون، وقد صححه النووي والمحققون
فى الأطفال، وذهب آخرون إلى أنهم يمتحنون ، وجزم به أهل السنة
قاطبة فى أهل الفترة فوجب انتقام التعذيب، عن أبوى النبى صلى الله

عليه وسلم بما جزموا بالامتحان في أهل الفترة، وجرى في الأطفال خلاف، وصح كونهم في الجنة لأجل مزية البلوغ والعقل في أولئك، ويدل لكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما حكم على أهل الفترة بالامتحان ورفع العذاب اعتماداً على هذه الآية ما أخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر في تفاسيرهم بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام ثم يرسل إليهم رسولا فيطيعه من كان يريد أن يطيعه، ثم قال أبو هريرة رضي الله عنه اقرأوا إن شئتم ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ إسناده على شرط الشيخين ومثله لا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع.

فصل في نقل مذهب أهل السنة فيمن هو قبل الدعوة

قال أهل الأصول قاطبة شكر المنعم ليس بواجب عقلاً خلافاً للمعتزلة. قال الكياني الهراسي وغيره: المراد بشكر المنعم امتثال الأوامر واجتناب النواهي من الكفر وغيره. وقال ابن السبكي (٥١) في

(٥١) هو الإمام الفقيه المحدث المفسر الأصولي النحوي اللغوي الأديب تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن سوار بن سليم، ولد سنة ٦٨٣ هـ ومات سنة ٧٥٦ هـ، أخذ الفقه عن ابن الرفعة والشرف الدمياطي والقراءات عن النقي الصائغ والأصليين والمعقول عن العلامة الباجي والخلاف والمنطق عن السيف البغدادي والنحو عن أبي حيان والتصوف عن التاج بن عطاء وابن الصواف.

(شرح مختصر ابن الحاجب) (٥٢) وذهب بعض أصحابنا إلى موافقة المعتزلة كابن شريح (٥٣) والصيرفي (٥٤) والقفال الكبير (٥٥) وابن أبي هريرة (٥٦) والقاضي أبي حامد (٥٧) وقد اعتذر القاضي أبو بكر الباقلاني (٥٨) في (التقريب) والأستاذ أبو إسحاق والشيخ أبو حامد

(٥٢) هو عز الدين ابن الحاجب الحافظ العالم المفيد أبو الفتح عمر بن محمد بن منصور الدمشقي، سمع الكثير وعمل المعجم عن ألف ومائة وثمانين شيخا ومعجم الأماكن، مات سنة ٦٣٠ هـ.

(٥٣) له ترجمة وافية في طبقات السبكي

(٥٤) هو عمرو بن علي بن بحر بن كنيز الباهلي أبو حفص الصيرفي الفلاس الحافظ، روى عن ابن علية ويحيى القطان وابن مهدي وابن نمير وخلق، ثقة مات سنة ٢٤٩ هـ.

(٥٥) هو أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال الكبير الشافعي من أكابر علماء عصره بالفقه والحديث واللغة والأدب، صاحب أصول الفقه وشرح رسالة الشافعي ومحاسن الشريعة، ولد سنة ٢٩١ هـ ومات سنة ٣٦٥ هـ.

(٥٦) هو أبو علي الحسن بن الحسين البغدادي المعروف بابن أبي هريرة، أحد أئمة الشافعية، تفقه على ابن سريج ثم على أبي إسحاق المزني وسحبته إلى مصر ثم عاد إلى بغداد ومات بها سنة ٣٤٥ هـ.

(٥٧) هو حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي فيلسوف متصوف له نحو مائتي مصنف منها إحياء علوم الدين وتهافت الفلاسفة ومحك النظر ومقاصد الفلاسفة والمنقذ من الضلال وفصائح الباطنية والاقتصاد في الاعتقاد والتبر المسبوك في نصيحة الملوك مات سنة ٥٠٥ هـ.

(٥٨) له ذكر في طبقات الشافعية للسبكي.

الجويني (٥٩) في (شرح الرسالة) عمن وافق المعتزلة من أصحابنا بأنهم لم يكن لهم قدم راسخ في الكلام، وربما طالعوا كتب المعتزلة فاستحسنوا هذه العبارة، وهي شكر المنعم واجب عقلا، فذهبوا إليها غافلين عن تشعبها عن أصل المعتزلة مع علمنا بأنهم ما اقتحموا مسالكهم وما تبعوا مقاصدهم قال ابن السبكي: وهو كلام حق بالنسبة إلى ما عدا القفال الكبير أما القفال فكان إماما في الكلام مقدما إلا أنه كان أول أمره معتزليا فقال هذه المقالة، ثم لما رجع عن الاعتزال لا بد أن يكون رجع عن ذلك، قال ابن السبكي وعلى مسألة شكر المنعم يتخرج مسألة من لم تبلغه الدعوة فعدنا يموت ناجيا ولا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام وهو مضمون بالكفارة والدية، ولا يجب القصاص على قاتله على الصحيح إذ هو ليس بمسلم، انتهى كلامه وهو صريح في نجاته، وأنه لا يدخل النار وأنه يدخل الجنة مع كونه لا يسمى مسلما، وهذا غير مسألتنا إن ثبت في شيء من الحديث إطلاق اسم على المحل المتنازع فيه وإنما (...) (٦٠) كما سأشير إليه.

فصل

أورد الزركشي* في (شرح جمع الجوامع) لقاعدة أن شكر المنعم

(٥٩) هو الجويني الحافظ أبو عمران موسى بن العباس صاحب المسند الصحيح على هيئة مسلم، سمع ابن عبد الأعلى ومنه أبو علي الحافظ، مات سنة ٣٢٣ هـ.

(٦٠) بياض في الأصل
* هو العلامة أبو الحسن الشيخ بدر الدين الزركشي، تفقه على بعض أصحاب الدميري، وبرع في المذهب ولقبوه بالسبكي الثاني، وله تصانيف منها «بداية المحتاج في شرح المنهاج»، مات سنة ٩٣١ هـ.

ليس بواجب عقلاً ثلاث أدلة من القرآن قوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ (٦١) وقوله تعالى ﴿ ذلك أن لم يكن ريك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ﴾ (٦٢) أى لم يأتهم الرسل والشرائع وقوله تعالى ﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ﴾ (٦٣) قلت : أخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره عند هذه الآية الأخيرة عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الهالك فى الفترة يقول رب لم يأتنى كتاب ولا رسول ثم قرأ هذه الآية ﴿ ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ﴾ إسناده حسن، ومن الآيات الواردة فى هذا قوله تعالى ﴿ وما كان ريك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون ﴾ وقوله تعالى ﴿ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى ﴾ أخرج ابن أبى حاتم عند هذه الآية عن عطية العوفى قال : الهالك فى الفترة يقول رب لم يأتنى كتاب ولا رسول. وقرأ هذه الآية ﴿ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ﴾ إلى آخر هذه الآية.

(٦١) ١٥ ك الإسراء ١٧

(٦٢) ١٣١ ك الأنعام ٦

(٦٣) ٤٧ القصص ٢٨

وقوله تعالى ﴿ وهم يصطرون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ﴾ وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة (٦٤) في هذه الآية قال احتج عليهم بالعمر والرسول وقوله تعالى ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ (٦٥) وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي في هذه الآية ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ قال : فيقولون ما أرسلت إلينا رسولا . فإن قلت : كيف يكون حكم أهل الفترة حكم من لم تبلغه الدعوة وحكم ما قبل البعثة ، وقد كانت شريعة موسى وعيسى عليهما السلام إذ ذاك موجودة ؟ قلت : دلت الأدلة على أن العرب لم يكونوا مخاطبين بها ولا مكلفين بإتيانها ولهذا وردت الأحاديث في الهالك في الفترة صريحة ، ولو كان المراد-هما قبل البعثة أن لا يكون بعث الرسول في الدنيا أصلا لاستحال وجود ذلك إذ ما من فترة إلا قبلها نبي إلى آدم عليه السلام وهو أول الأنبياء وليس قبل آدم بشر ، والقرآن أيضا ناطق بذلك قال الله تعالى ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾ * أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن

(٦٤) هو قتادة بن دعامة بن قنادة السدوسي أبو الخطاب البصري الأكمه ، أخذ الأعلام ، روى عن أنس وعبد الله بن سرجس وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب والحسن وابن سيرين ، وعنه أبو حنيفة وأيوب وشعبة ومسر والأوزاعي وحماد ابن سلمة وأبو عوانة ، ثقة ولد سنة ٦٠ هـ ومات سنة ١١٧ هـ

(٦٥) ١٦٥ م النساء ٤

دراستهم لغافلين» (٦٦). وأخرج ابن أبي حاتم وابن المنذر وأبو الشيخ (٦٧) عن مجاهد (٦٨) في قوله تعالى ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلُنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴾. قال اليهود والنصارى، خاف أن يقوله قريش، وبهذا القول يندفع ما وقع في شرح مسلم في حديث: إن أبي وأباك في النار. من قوله إن أهل الجاهلية لا يجرى عليهم حكم من لم تبلغه الدعوة لتقديم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء، كيف وفي الحديث السابق من رواية ثوبان إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم، وذكر بقية الحديث في الامتحان، فهذا نص في المسألة، وبقية الحديث شاهدة على الهالك في الفترة ما بين الدببين، واشتهرت لما بين عيسى والنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا لم يكن أهل الفترة هم الذين لم تبلغهم الدعوة فليت شعري من هم، وقد قال الرافعي في... (٦٩) وتبعه في الروضة: من لم تبلغه دعوة نبينا عليه السلام: لا يجوز قتله قبل الإعلام والدعاء إلى الإسلام، فلو قتل كان مضمونا قطعاً وكيف يضمن من قتل من بلغته الدعوة فلم يؤمن، أما الكفارة فيجب بلا تفصيل ثم له ثلاثة أحوال: أحدها أن لا تكون بلغته دعوة نبي أصلاً فلا قصاص على الصحيح وأوجب القفال، وهل يجب دية مجوسى أو مسلم وجهان أصحهما الأول.

(٦٦) ١٥٦ ك الأنعام ٦

(٦٧) هو عبد الله بن جعفر بن حيان أبو الشيخ، ثقة

(٦٨) هو مجاهد بن جبر أبو الحاج المكي المخزومي، مولى السائب بن أبي

السائب، ثقة ولد سنة ٢١هـ مات سنة ١٠١هـ

(٦٩) بياض في الأصل

والثاني أن يكون مستمسكا بدين لم يبدل ولم يبلغه ما يخالفه فلا قصاص على الأصح وقيل يجب دية مسلم أو يجب دية أهل ذلك الدين وجهان أصحهما الثاني، والثالث أن يكون مستمسكا بدين لحقه التبديل لكن لم يبلغه ما يخالفه فلا قصاص قطعا، ويجب دية مجوسى فى الأصح، انتهى. وهل يمكن أن يوجد فى أطراف الأرض من لم يبلغه أن الله بعث نبيا أصلا من لدن آدم، وبعثة أنبياء الله تعالى ووقائعهم مشهورة، ولو لم يكن إلا بعثة نوح وإقامته ألف سنة إلا خمسين عاما والطوفان الذى أغرق أهل الأرض جميعا فلو اخترنا مطلق وجود الأنبياء عليهم السلام لاستحال وجود من لم تبلغه الدعوة ولسقطت الأحاديث والآثار الواردة فى أهل الفترة بأسرها على كثرتها وصحتها، ويحكم عليهم جميعا بأنهم فى النار من غير امتحان. وفى أهل الفترة وردت الأحاديث الثابتة الصحيحة.

فإن قلت : لم يتضح لى هذا كل الاتصاح فزد لى بيانا بوجهه قلت : وجهه مجموع أمور: طول المدة من لدن بعثة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فإنه لم يبعث فى العرب نبي بعد إسماعيل، وحدث التغير فى دينهما وتصادى الزمان عليه، وفقد من ينقل شريعتهما على وجهها وتدارك القرون قرنا بعد قرن، مستمسكين بذلك المغير، حتى نشأ قوم فلم يجدوا إلا ذلك ولم يسمعوا بحقيقة دين إبراهيم على وجهه، ولا وجدوا من يخبرهم به، فهو يصدق عليهم أنهم لم تبلغهم الدعوة، ولهذا استنكروا ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتعجبوا منه ونسبوه إلى أنه أتى بدين محدث لا يعرف، وقالوا إن هذا لشيء عجاب، ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة. وقالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على

آثارهم مقتدون، ولو كان عندهم علم بدعوة الأنبياء عليهم السلام على ما
 هي عليه لعرفوا أن دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من نمط
 دعوتهم، فلهذا أسلم كثير من العرب لما سمع من أهل الكتاب الشهادة له
 بالتصديق، ولم يكن كفرهم إنكار الصانع ولا ألوهيته ولا ادعوا في
 الأصنام أنها تخلق وتدبر كما ادعى نمرود وقومه، بل كانوا يقولون لله
 بالإلهية وأنه الخالق المدبر كما قال الله تعالى ﴿ ولئن سألتهم من
 خلقهم ليقولن الله ﴾ (٧٠) وكانوا يزعمون الأصنام أنها تشفع لهم عند
 الله كما قال تعالى حكاية عنهم ﴿ ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله
 زلفى ﴾ (٧١) وكانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو
 لك تملكه وما ملك كما قال الله تعالى ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا
 وهم مشركون ﴾ (٧٢) فعرف بذلك أن كفرهم كفر إشراك لا كفر إنكار
 لوجود الصانع، وأن ذلك صادر عن الجهل بما جاءت به الأنبياء والرسل
 عليهم السلام، وعدم بلوغه لهم على وجهه، ويوضح ذلك قوله تعالى
 ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من
 الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير
 ونذير ﴾ (٧٣) فإذا كان الله أعذر أهل الكتاب بأن بعث رسولا إليهم بعد

(٧٠) ٨٧ ك الزخرف ٤٣

(٧١) ٣ ك الزمر ٣٩

(٧٢) ١٠٦ ك يوسف ١٢

(٧٣) ١٩ م المائدة ٥

الفترة بين لهم ما بدله الأحبار وكتموه لئلا يحتجوا بقولهم ما جاءنا من بشير ولا نذير، وهم كانوا أهل الكتاب عالمين بشريعة موسى عليه السلام في الجملة غير أنهم تمسكوا بما لحقه التبديل لكونهم قلدوا فيه أسلافهم ولم يكونوا أهلاً لتمييز الحق من الباطل فما ظنك بالعرب الأميين الذين ليسوا أهل الكتاب ولا يدرون ما الكتاب.

تنبيه

الذي عندي أنه لا ينبغي أن يفهم من قول النووي في (شرح مسلم) في حديث أن رجلاً قال: أين أبي قال في النار فلما قفا دعاه فقال إن أبي وأباك في النار. فيه أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار، وليس هذا مواخذة قبل بلوغ الدعوة فإن هؤلاء كانت بلغتهم دعوة إبراهيم عليه السلام وغيره من الأنبياء أنه أراد بذلك الحكم على أبي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بل ينبغي أن يفهم أنه أراد الحكم على أبي السائل، وكلامه ساكت عن الحكم على الأب الشريف.

فصل

ظهر لي في حديث إن أبي وأباك في النار علتان: إحداهما من حيث الإسناد وذلك أن الحديث أخرجه مسلم وأبو داود من طريق حماد ابن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال يا رسول الله أين أبي قال في النار. فلما قفا دعاه فقال إن أبي وأباك في النار. وهذا.

الحديث تفرد به مسلم عن البخارى، وفي أفراد مسلم أحاديث متكلم فيها، ولا شك أن يكون هذا منها. أما أولا فثبت وإن كان إماما ثقة فقد ذكره ابن عدى في (كامله) في الضعفاء، وقال إنه وقع في أحاديثه نكرة، وذلك من الرواة عنه فإنه روى عنه الضعفاء أورده الذهبي في (الميزان). وأما ثانيا فحماد بن سلمة وإن كان إماما عابدا عالما فقد تكلم جماعة في روايته، وسكت البخارى عنه فلم يخرج له شيئا في صحيحه، وقال الحاكم في (المدخل) ما أخرج مسلم لحماد بن سلمة في الأصول إلا حديثا عن ثابت، وقد خرج له مسلم في الشواهد عن طائفة، وقال الذهبي: حماد ثقة له أوهام وله مناكير كثيرة، وكان لا يحفظ فكانوا يقولون إنها دست في كتبه، وقد قيل إن ابن أبي العرجاء كان يبيبه وكان يدس في كتبه، ومن مناكيره ما رواه عن ثابت عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ ﴿ فلما تجلى ربه للجبل ﴾ قال أخرج طرف خضره وضرب على إبهامه فساخ الجبل. وهذا الحديث أخرجه أحمد والترمذى والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم، وأورده ابن الجوزى في الموضوعات وقال إنه لا يثبت وإنه مما دسه ربيبه عليه، والمناكير في رواية حماد كثيرة، وإنما أوردت هذا لأنه بسند الحديث الذى نحن فى تعليقه، ومن أنكر رواياته ما رواه عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم مرفوعا: رأيت ربي جعدا أمرد عليه خضر. وهذا أيضا أورده في الموضوعات فبان بهذا أن

الحديث المتنازع فيه لا بد أن يكون منكرا وقد وصف أحاديث كثيرة في مسلم بأنها منكورة .

العلة الثانية من حيث المتن وهي مبنية على مقدمة ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا سأله أعرابي وخاف من إفصاح الجواب له فتنته واضطراب قلبه أجابه بجواب فيه تورية وإيهام كالحديث الذي أخرجه البخارى أنه صلى الله عليه وآله وسلم سأله رجل عن الساعة فنظر إلى أحدث القوم سنا فقال : إن يستفد هذا عمره لم يمت حتى تقوم الساعة . قال : قال : العلماء كان الأعراب يسألونه كثيرا عن الساعة فخشى صلى الله عليه وآله وسلم من قوله لا أعلمها فتنتهم وشكهم فأجابهم بجواب فيه تورية ، ومراده إن بلغ هذا الغلام أقصى العمر لم يمت حتى تقوم على الحاضرين ساعتهم بأن يموتوا . وقيام ساعة كل واحد موته .

إذا عرف ذلك فالذى عندى فى هذا الحديث إن أبى وأباك فى النار ليس رواية باللفظ بل رواها الراوى بالمعنى فوهم ذلك وإنما تكلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكلام مورى ففهم منه السامع فقال . وقد وصح لنا من ذلك طريق آخر للحديث رواه معمر عن ثابت فلم يذكر إن أبى وأباك فى النار وهذا اللفظ لا دلالة فيه على والده صلى الله عليه وآله وسلم بأمره ألبته ، وهو أثبت من حيث الرواية فإن معمر لم يتكلم فى حفظه ولا استنكر شيء من حديثه ، واتفق على التخريج له

الشيخان، فكان لفظه أثبت، ثم وجدنا الحديث ورد من حديث سعد بن أبي وقاص بمثل لفظ رواية معمر عن ثابت عن أنس. فقد أخرج البزار في (مسنده) والطبراني في (المعجم الكبير) بسند رجال الصحيح عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال : يا رسول الله أين أبي؟ قال : في النار، وقال : فأين أبوك؟ قال : حيث مررت بقبر كافر فبشره بالنار. وهذا حديث صحيح وفيه فوائد، منها بيان أن السائل كان أعرابيا وهو مظنة خشية الفتنة والردة. ومنها بيان جواب فيه إيهام وتورية إذ لم يصرح فيه بأن الأب الشريف في النار إنما قال : حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار. وهذه جملة لا تدل بالمطابقة على ذلك إنما قد يفهم منها ذلك بحسب السياق والقرائن، وهذا شأن التورية والإيهامات، فكره صلى الله عليه وآله وسلم أن يفصح له بحقيقة الحال. ومخالفة أبيه في المحل الذي هو فيه خشية ارتداده لما جلبت عليه النفس من كراهة الاستيثار عليها، ولما كانت عادة الأعراب من غلظ القلوب والجفاء أورد له جوابا موهما : تطيبها لقلبك، فكانت هذه الطريق من طرق الحديث في غاية الإتقان، ولهذا قال بعض الحفاظ : لو لم يكتب الحديث من ستين وجها ما عقلناه، يعنى اختلاف الرواة في إسناده وألفاظه، وقد وقع في الصحيحين أحاديث كثيرة من هذا النمط، وهم فيها الرواة في بعض الألفاظ فبينها اللقاة، منها حديث في نفي قراءة البسملة، وقد أعله الشافعي بذلك، وقال : إن الثابت من طريق آخر نفي سماعها ففهم منه الراوى نفي قراءتها فرواه

بالمعنى على ما فهمه نافيا فى أشياء آخر مبينة فى كتب الحديث، فبان بهذا تعليل الحديث من هذه الجهة، ولا يكون ذلك قدحا فى صحة الحديث من أصله، بل فى هذا اللفظ فقط، وكذلك حديث دأى مع أمكم، على ضعف إسناده لا يلزم منه كونها فى النار لجواز أن يكون أراد بالمعنى كونها معها فى دار البرزخ أو غير ذلك تورية وإيهاما تطيبيا لقلوبهما فإن قلت : قد تقرر أن أهل الفترة لا يقضى عليهم بكونهم فى النار حتى يمتحنوا فكيف حكم النبى صلى الله عليه وآله وسلم على أبى السائل بأنه فى النار؟ قلت: ظهر لى عن ذلك أربعة أجوبة : الأول أن هذا الحديث متقدم على الأحاديث الواردة فى أهل الفترة فيكون منسوخا بها كما أخبر أولا عن أطفال المشركين بأنهم فى النار ثم نسخ ذلك. الثانى، أنا لم نقطع بعدم النار فى أهل الفترة بل قلنا يمتحنون فمن أطاع دخل الجنة ومن لا دخل النار فيمكن أن يكون النبى صلى الله عليه وآله وسلم اطلع فى حق هذا بخصوصه على أنه يعصى عند الامتحان فيدخل النار، وأوحى إليه بذلك فحكم بأنه من أهل النار، الثالث أنه يمكن فى هذا الرجل أن يكون ممن دخل يثرب والشام واجتمع بأهل الكتاب وبلغه دعوة موسى عليهما السلام وأصر على الشرك فلم يُعذر. الرابع أنه يمكن أن يكون عاش حتى أدرك بعثة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وبلغه ذلك وأصر ومات فى عهده، وهذا لا عذر له ألبتة.

فإن قلت فأبوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد دخلا يثرب واجتمعا باليهود فلزمهما. قلت الجواب عليهما من ثلاثة أوجه : الأول أنه يحتاج إلى ثبوت أن اليهود دعوه إلى الدين وهذا لم ينقل فنحكم عليه خصوصا أنهما لم يقيما بالمدينة إلا أياما قلائل لا تسع ذلك، أما عبد الله فإنه مر بها في سفره إلى الشام ورجع فدخلها وهو مريض فأقام بها شهرا مريضا ومات، وهذه المدة مع المرض لا تسع اجتماعا بأحد ولا سؤالا عن دين. وأما أمية فقدمت المدينة زائرة لأقاربها فأقامت بها أيضا شهرا ومعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرجعت فماتت بالطريق. الثاني أن تقول أى مانع أن يكونا دعيا إلى الدين فأجابا وإن لم ينقل الأمران وكيف ينسب إليهما الامتناع وقد نشر أمر أهل الكتاب والكهان وغيرهم بنبوة ولدهما قبل ولادته وصدقا بذلك ويشار به ويشترى به أمه قبل ولادته وعند ولادته وبعد ولادته وصدقت بذلك، وقالت الأبيات السابقة عند موتها، وهل ينسب إليهما الشرك وقد أخبرا عن ولدهما أنه يبعث رسولا عن الله بالتوحيد وكسر الأصنام، وصدقا بذلك، وهل الإسلام شيء غير هذا التصديق. الثالث أنا ندعى أنهما كانا من أول أمرهما على الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام وأنهما لم يعبدا صنما قط، وستقرر ذلك قريبا بأدلة.

تذنيب

من اللطائف في أمرهما أنهما ماتا شابين قلم يبلغا سنا تقوم به الحجة عليهما كما قال تعالى ﴿ أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ﴾ قيل هو ستون سنة، وقيل أربعون سنة، وفي الحديث : لقد أعذر الله إلى امرئ آخره من العمر ستين سنة، وفي الأثر : قد تمت حجة الله على ابن الأربعين، وكان عمر والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين توفي خمسا وعشرين سنة، كما قال الواقدي إنه أثبت الأقاويل في سنه وكان عمر أمه حين توفيت قريبا منه.

فصل

في الدليل على أن أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأجداده إلى إبراهيم عليه السلام كانوا على الحنيفية دين إبراهيم ولم يكونوا على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان : أخرج ابن جرير في تفسيره عن مجاهد في قوله تعالى ﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ﴾ (٧٤) قال : فاستجاب الله لإبراهيم عليه السلام دعوته في ولده فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته. وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن سفيان بن عيينة (٧٥) أنه

(٧٤) ٣٥ ك إبراهيم ١٤

(٧٥) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران بن ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي الأعور، روى عن عمرو بن دينار والزهري وزيد بن علقمة وزيد بن أسلم ومحمد بن المنكدر وخلق، وعنه الشافعي وابن المديني وابن معين وابن راهويه والفلاس، مات سنة ١٩٨ هـ.

سئل : هل عبد أحد من ولد إسماعيل الأصنام قال : لا، ألم تسمع قوله تعالى ﴿ واجتنبى وبى أن نعبد الأصنام ﴾ وأخرج ابن المنذر فى تفسيره عن ابن جريج (٧٦) فى قوله وتعالى ﴿ رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ﴾ (٧٧) قال فلن يزال من ذرية إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله . قلت : ويمكن أن يحمل على ذلك قوله تعالى ﴿ وتقلبك فى الساجدين ﴾ فقد أخرج ابن سعد فى (الطبقات) والبزار والطبرانى وأبو نعيم فى (الدلائل) عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ﴿ وتقلبك فى الساجدين ﴾ (٧٨) قال : من نبى إلى نبى ومن نبى إلى نبى حتى أخرجتك نبيا، ففسر تقلبه فى الساجدين بتقلبه فى أصلاب الأنبياء عليهم السلام، ويمكن أن يحمل على أعم منهم وهم المصلون الذين ما زالوا فى ذرية إبراهيم لو صح أنه ليس فى أجداد النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنبياء بكثرة، بل إسماعيل وإبراهيم ونوح وشيث وآدم وإدريس فى قول.

فصل

ومما يدل على ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وآله وسلم « بعثت من

(٧٦) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموى مولاهم أبو محمد، روى عن أبيه ومجاهد وعطاء وطلوس والزهرى وخلق، وعنه ابنه عبد العزيز ومحمد ويحيى الأنصارى والأوزاعى ويحيى القطان والعمادان والسفيانان، ثقة مات سنة ١٥٠ هـ

(٧٧) ٤٠ لك إبراهيم ١٤

(٧٨) ٢١٩ لك الشعراء ٢٦

خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه، (٧٩)
أخرجه البخارى فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه، وقوله صلى
الله عليه وآله وسلم «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل،
واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة، واصطفى من بنى كنانة قريشا،
واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم» أخرجه مسلم
من حديث واثلة، فالخيرية والاصطفاء يشعر بالإسلام. وطريقة أخرى
فى الاستدلال، أخرج الإمام أحمد فى (الزهد) والخلال (٨٠) فى
(كرامات الأولياء) بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس
رضى الله عنهما قال : ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله
بهم عن أهل الأرض. وأخرج ابن جرير فى تفسيره عن شهر بن
حوشب (٨١)، قال : لم تبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم
عن أهل الأرض، ويخرج بركتها إلا زمن إبراهيم فإنه كان فيه وحده .
وأخرج أحمد فى (الزهد) عن كعب قال : لم يزل بعد نوح فى الأرض
أربعة عشر يدفع بهم العذاب. وأخرج الخلال فى (كرامات الأولياء)
عن زاذان قال : ما خلت الأرض بعد نوح من اثنى عشر فصاعدا يدفع
الله بهم عن أهل الأرض. هذه الآثار مع أثر ابن جريج السابق فى أنه ما
زال من ذرية إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله، يدل على أن أجداد

(٧٩) ورد فى مفتاح كنوز السنة.

(٨٠) هو الفقيه والمحدث أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون البندارى الحنبلى، ثقة.

(٨١) له ترجمة وافية فى تهذيب التهذيب.

النبي صلى الله عليه وسلم كانوا على الحنيفية زمن إبراهيم، وبيان ذلك أنهم لو كانوا على الكفر فلا يخلو إما أن يكون الذين على الفطرة ويدفع بهم غيرهم أو لا يكون أحد كذلك، والثاني باطل خلاف الوارد في هذه الآثار الصحيحة، والأول باطل أيضا لأنه يلزم عليه أن يكون غيرهم خيرا منهم إذ لا يكون كافر خيرا من مسلم، وهذا باطل بمخالفة حديث البخاري المصدر به هذا الفصل، وهو أنه بعث من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا إلى القرن الذي كان فيه، فهذا يدل على أن كل أصل من أصوله خير قرنه ولا يكون كذلك وهو كافر وفي قرنه مسلم، فتعين أن يكون مسلماً والأحاديث متواترة بمعنى حديث البخاري.

أخرج البيهقي في (دلائل النبوة) عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما فأخرجت من بين أبوي ولم يصبني شيء من عهد الجاهلية، خرجت من نكاح لا من سفاح، من لدن آدم حتى انتهيت إلى أمي فأنا خيركم نفسا وخيركم أبا. وأخرج أبو نعيم في (دلائل النبوة) من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لم يلتق أبوي على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً لا تشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما.

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خير العرب مضر وخير مضر بنو عبد مناف وخير بنى عبد مناف بنو هاشم وخير بنى هاشم عبد المطلب والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت في خيرهما. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وقد أوردتها في أول (كتاب المعجزات).

وأخرج ابن عمر العدنى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن قریشا كانت نورا بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بألفى عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فأهبطنى الله الأرض في صلب آدم وجعلنى في صلب نوح، وقدرنى في صلب إبراهيم ثم لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجنى من بين أبوى ولم يلتقيا على سفاح قط. وأخرج البيهقى في (الدلائل) والطبرانى في (الأوسط) عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال لى جبريل قلبت الأرض مشارقها ومغاريها فلم أجد رجلا أفضل من محمد ولم أجد بقى أب أفضل من بنى هاشم، قال الحافظ ابن حجر في (أمالیه) بعد أن أورد هذا الحديث: لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن.

فصل

قال الشيخ أبو الحسن الأشعري (٨٢) إمام أهل السنة وأبو بكر ما زال عين الرضى معه فاختلف الناس في مراده بهذا الكلام، فقال بعضهم إن الأشعري يقول إن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان مؤمنا قبل البعثة، وقال آخرون بل أراد أنه لم يزل بحالة غير المغضوب فيها عليه . لعلم الله تعالى بأنه يصير من خلاصة الأبرار. قال الشيخ تقي الدين السبكي: لو كان هذا مراده لاستوى الصديق وسائر الصحابة رضى الله عنهم في ذلك، وهل العبارة التي قالها الأشعري في حق الصديق رضى الله عنه لم يحفظ منه في حق غيره، فالصواب أن يقال إن الصديق رضى الله عنه لم تثبت عنه حالة كفر بالله قبل البعث كحال زيد بن عمرو بن نفيل وأقرانه، لهذا خصص الصديق رضى الله عنه بالذكر عن غيره من الصحابة رضى الله عنهم، انتهى .

قلت : وهذا الذى قاله السبكي في الصديق رضى الله عنه نقوله نحن في أبوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأجداده مع أن الصديق رضى الله عنه وزيد بن عمرو بن نفيل إنما حصل له التحلف في الجاهلية ببركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنهما كانا صديقين له قبل البعثة وكانا يوادانه كثيرا .

(٨٢) انظر كتابه مقالات الإسلاميين .

فصل

فيمين نص على إسلامه من أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم صريحا.

أخرج ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة وأسد على ملة إبراهيم فلا تذكرهم إلا بخير.

قال السهيلي في (الروض الأنف) يذكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمناً. وذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحج. وأخرج الزبير بن بكار مرفوعاً: لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مؤمنين. وقال ابن سعد في (الطبقات): أخبرنا خالد بن خدّاش حدثنا عبد الله بن وهب (٨٣) أخبرني سعد بن أبي أيوب عن عبد الله بن خالد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تسبوا مضر فإنه كان قد أسلم. وقال السهيلي في (الروض الأنف) إن كعب بن لؤي أول من جمع يوم العروبة وكانت قريش تجمع إليه في هذا اليوم فيخطبهم

(٨٣) هو عبد الله بن وهب بن مسلم المصبري الفهري مولاهم أبو محمد، أحد الأعلام، روى عن مالك والسفيانين وابن جريج وخلق. وعنه أصيب وحرمة والربيع مات سنة ١٩٧هـ.

ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويعلمهم أنه من ولده
ويأمرهم باتباعه والإيمان به، ينشد في هذا منها قوله:

يا ليتني شاهد فحواء دعوته إذا قرش تبغى الحق خذلانا

وقد ذكر الماوردي هذا عن كعب في (كتاب الأحكام) له . انتهى .

قلت : وأخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) بسنده عن أبي سلمة بن
عبد الرحمن بن عوف، وفي آخره : وكان بين موت كعب ومبعث
النبي صلى الله عليه وآله وسلم خمسمائة وستون سنة، وقد سقت الخبر
بلفظه في أول (كتاب المعجزات) .

فصل

أخرج ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عبد المطلب قال
لما قدم أصحاب الفيل وقد سعد جبل أبي قبيس:

لا هم إن المرء يمنع رحله فامنع رجالك
لا يغلبن صليبيهم ومحالهم أبدا محالك

وأورده جماعة بلفظ :

فانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

هذا يدل على أنه كان على الحنيفية حيث تبرأ من الصليب وعابديه،
وفي (طبقات) ابن سعد بأسانيده أن عبد المطلب قال لأم أيمن وكانت
تحضن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا بركة لا تغفل عن ابني

فإني وجدته مع غلمان قريبا من الصدودة وإن أهل الكتاب يقولون ابني نبي هذه الأمة.

فصل في بعض من تحنف في الجاهلية

أخرج البزار والحاكم في (المستدرك) وصححه عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تسبوا ورقة ابن نوفل فإني قد رأيت له جنة أو جنتين، وأخرج البزار عن جابر رضي الله عنه قال : سألتنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن زيد ابن عمرو بن نفيل فقيل : يا رسول الله إنه كان يستقبل القبلة في الجاهلية، ويقول ديني دين إبراهيم وإلهي إله إبراهيم، ويسجد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يحشر ذاك أمة وحده بيني وبين يدي عيسى ابن مريم. وسأله عن ورقة بن نوفل فقيل : يا رسول الله كان يستقبل القبلة ويقول إلهي إله زيد ودينى دينه فقال : رأيت يمشى في بطن الجنة عليه حلة من سندس.

وأخرج أبو نعيم في (الدلائل) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قس بن ساعدة كان يخطب قومه بسوق عكاظ، فقال في خطبته: سيجيئكم حق من هذا الوجه، وأشار بيده نحو مكة. قالوا ما هذا الحق قال رجل من ولد لؤى بن غالب يدعوكم إلى كلمة الإخلاص وعيش الأبد ونعيم لا ينفد فإن دعاكم فأجيبوه، ولو علمت أنى أعيش إلى مبعثه لكنت أول من يسبقهم إليه.

وأخرج أبو نعيم عن عمرو بن عبسة السلمي قال : رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية وعلمت أنها الباطل يعبدون الحجارة . وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن سلام * قال : لم يمت تبع حتى صدق بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم لما كان يهود يثرب (.....) (٨٤) حديث لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم .

وأخرج الخرائطي وابن عساكر في تاريخه عن جامع أن الأوس بن حارثة كان يذكر دعوة الحق، وبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وأوصى بذلك ولده مالكا عند موته، وقد سقت الخبر بتمامه في المعجزات . وأخرج البيهقي وأبو نعيم كلاهما في (الدلائل) من طريق الشعبي عن شيخ من جهينة أن عمرو بن حبيب الجهني ترك الشرك في الجاهلية وصلى لله وعاش حتى أدرك الإسلام . وسقت الخبر أيضا بتمامه في المعجزات . وأخرج الطبراني في (الكبير) بسند رجاله ثقات عن غالب بن أبجر رضى الله عنه قال : ذكر قس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : رحم الله قسا قيل : يا رسول الله ترحم على قس، قال : نعم إنه كان على دين أبينا إسماعيل بن إبراهيم .

* هو عبد الله بن الحارث الحبر أبو يوسف الإسرائيلي حليف الأنصار . مات سنة

٤٣ هـ . بالمدينة . حدث عنه أنس ابن مالك و زرارة .

(٨٤) بياض في الأصل

فصل

قال الشهرستاني في (الملل والنحل): كانت العرب على قسمين معطلة ومحصلة. فالمعطلة أصناف. منهم من أنكر الخالق والبعث والإعادة، وقال بالطبع المحيى والدهر المبنى، وهم الذين أخبر الله تعالى عنهم بقوله ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ ومنهم من أقر بالخالق والابتداء والإبداع وأنكر البعث والإعادة، وهم الذين أخبر الله عنهم بقوله ﴿ قال من يحيى العظام وهي رميم ﴾. ومنهم من أقر بالخالق والإبداع ونوع من الإعادة وأنكر الرسل وعبد الأصنام وزعم أنها شفعاء له عند الله في الآخرة، وهم أكثر من العرب إلا شذمة منهم.

وأما المحصلة فكانوا على ثلاثة أنواع من العلوم : علم الأنساب والتواريخ والأديان ويعدونه نوعا شريفا خصوصا معرفة أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والاطلاع على ذلك النور الوارد من إبراهيم إلى إسماعيل، وتواصله في ذريته إلى أن ظهر بعض الظهور في أسارير عبد المطلب، وببركة ذلك النور ألهم النذر في ذبح ولده وببركته كان يأمر ولده بترك الظلم والبغى، ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيايات الأمور، وببركته قال لأبرهة إن لهذا البيت ربا يحفظه، ومنه قال وقد صعد أبا قبيس .

لا هم إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم أبدا محالك

وببركة ذلك النور كان يقول فى وصاياه إنه لن يخرج من الدنيا ظلم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة إلى أن هلك رجل ظلم لم تصبه عقوبة، فقيل لعبد المطلب فى ذلك، ففكر، وقال : والله إن وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب فيها المسيئ بإساءته، ومما يدل على إثباته المعاد والمبدأ أنه كان يضرب بالقداح على عبد الله ابنه ويقول : يا رب أنت الملك المحمود وأنت ربى الملك المعبود، من عندك الطارف والتالد.

ومما يدل على معرفته بحال الرسالة وشرف النبوة أن أهل مكة لما أصابهم ذلك الجذب أمروا أبا طالب أن يحضر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو صغير فاستسقى به وأنشد فى ذلك أبو طالب بقوله .
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

والنوع الثانى علم الرؤيا. والثالث علم الأنوار، وهو علم الكهانة والقيافة، ومن العرب من يؤمن بالله واليوم الآخر وينتظر النبوة، وكانت لهم سنن وشرائع فمن كان يعتقد الدين الحنيفى زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة الإيادى وعامر بن الظرب العدوانى، ومن كان قد حرم الخمر فى الجاهلية قيس بن عاصم التميمى وصفوان بن أمية الكنانى وعقيب بن معد يكرب الكندى، ومن كان يؤمن بالخالق ويخلق آدم عليه السلام طالحة بن ثعلب بن وبرة بن قضاعة، ومنهم زهير بن أبى سلمى، وكان يمر بالعصاة وقد أورقت بعد ييس ويقول لولا أن

تسبني العرب لآمنت أن الذي أحياك بعد يسى سيحيى العظام وهي
رميم. ثم آمن بالبعث بعد ذلك وقال في قصيدته المشهورة :

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

وكان بعض العرب إذا حضره الموت يقول لولده ادفنوا معي
راحلتى حتى أحشر عليها فإن لم تفعلوا حشرت على رجلى، وكانوا في
الجاهلية يحرمون أشياء نزل القرآن بتحريمها ككناح الأمهات والبنات
والأخوات والخالات والعمات. وكانوا يطوفون ويسعون ويلبون ويفعلون
المناسك كلها ويهدون الهدايا ويرمون الجمار ويحرمون الأشهر الحرم،
ويغسلون أمواتهم ويكفنونهم، وكانوا يداومون على طهارات الفطرة
العشرة التي ابتلى بها إبراهيم عليه السلام، ويوفون بالعقود ويكرمون
الضيف ويقطعون يد السارق، وكان دين إبراهيم قائما والتوحيد شائعا
في صدر العرب، وأول من غيره ووضع عبادة الأصنام عمرو بن
لحى، وهذا كله كلام الشهرستاني. قال ابن الجوزى في (التلخيص) تسمية
من رفض عبادة الأصنام في الجاهلية: أبو بكر الصديق زيد بن عمرو
ابن نفيل، عبد الله بن جحش، عثمان بن الحويرث، ورقة بن عمرو بن
نوفل، رباب بن البراء، أبو بكر أسعد الحميري، قس بن ساعدة الإيادي،
أبو قيس بن صرمة.

فصل

ثم رأيت الإمام فخر الدين الرازي احتج بما احتججت من أن آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلهم كانوا على التوحيد، فقال في كتابه (أسرار التنزيل) ما نصه : قيل إن آزر لم يكن والد إبراهيم بل كان عمه، واحتجوا عليه بوجوه منها أن آباء الأنبياء ما كانوا كفارا ويدل عليه بوجوه، منها قوله تعالى ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقْلِبُ فِي السَّاجِدِينَ﴾ فقل معناه أنه كان ينتقل نوره من ساجد إلى ساجد، وبهذا التقدير فالآية دالة على أن جميع آباء محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا مسلمين، وحيلت يجب القطع بأن والد إبراهيم ما كان من الكافرين أقصى ما في الباب أن يحمل قوله تعالى ﴿ وَتَقْلِبُ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ (٨٥) على وجوده بالكل فلا منافاة بينهما ووجب حمل الآية على الكل، ومتى صح ذلك ثبت أن والد إبراهيم ما كان من عبدة الأوثان.

ومما يدل على أن آباء محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما كانوا مشركين قوله عليه السلام : ولم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات، وقال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ (٨٦) فوجب ألا يكون أحد من أجداده مشركا، هذا كلام الإمام بحروفه، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

(٨٥) ٢١٩ الشعراء ٢٦

(٨٦) ٢٨ م التوبة ٩

مصادر ومراجع تحقيق السلسلة

- ١- الاستدراك لابن نقطة
- ٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير - دار الشعب - القاهرة ١٩٧٠-١٩٧٤م
- ٣- الإصابة في أسماء الصحابة تحقيق على محمد البجاوي - نهضة مصر - القاهرة ١٩٧٥م
- ٤- الأعلام للزركلي - القاهرة ١٩٥٤-١٩٥٩م
- ٥- الأنس الجليل لمجير الدين الحنبلي - الدجف - العراق ١٩٦٨م
- ٦- الأنساب للسماعني - نشره مصوراً مرجليوث - لندن/لندن ١٩١٢م
- ٧- البدء والتاريخ للمقدسي - باريس ١٨٩٩م
- ٨- البداية والنهاية لابن كثير القرشي - القاهرة ١٣٤٨هـ
- ٩- تاج التراجم لابن قطلوبغا - بغداد ١٩٦٢م
- ١٠- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي - طبع الخانجي ١٣٤٩هـ

١١- تبصير الملتبة

لابن حجر العسقلاني - تحقيق
على محمد البجاوي - الدار
المصرية للتأليف والترجمة
١٩٦٦م

١٢- تبیین کذب المفتری

لابن عساكر - نشره القدسي -
دمشق ١٩٢٧م

١٣- تذكرة الحفاظ

للذهبي - تصحيح عبد الرحمن بن
يحيى المعلمي - حيدر آباد - الهمد
١٣٧٤هـ

١٤- تفسير الطبري

دار المعارف - القاهرة ١٩٧٤م
للنوري - المطبعة المديرية

١٥- تهذيب الأسماء واللغات

لابن حجر العسقلاني - حيدر آباد
الدكن ١٣٣٤هـ

١٦- تهذيب التهذيب

لأبي نعيم الأصبهاني - مطبعة
السعادة - القاهرة ١٣٢٢هـ

١٧- حاية الأولياء

للكتاني - دار الفكر - دمشق ١٩٦٤م
دار إحياء الكتب العربية

١٨- الرسالة المستطرفة

تحقيق محمد قواد عبد الباقي -
الطبي القاهرة ١٩٥٢م

١٩- سنن أبو داود

للذهبي - بيروت ١٩٧٠م

٢٠- سنن ابن ماجه

لابن العماد الحنبلي - نشره القدسي
- القاهرة ١٣٥٠هـ

٢١- سير أعلام النبلاء

٢٢- شذرات الذهب

٢٣- صحيح البخارى

٢٤- صحيح ابن حبان

٢٥- صحيح مسلم

٢٦- طبقات الحنابلة

٢٧- طبقات ابن سعد

٢٨- طبقات الشافعية

٢٩- طبقات الشيرازى

٣٠- طبقات العبادى

٣١- طبقات القراء

٣٢- طبقات القراء

٣٣- طبقات المفسرين

٣٤- طبقات المفسرين

القاهرة ١٣٧٨هـ

بيروت ١٩٨٣م

تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي -

القاهرة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م

لابن أبى يعلى - القاهرة ١٩٥٢م

تحقيق إحسان عباس - دار صادر -

بيروت ١٩٦٨م

للسبكي - تحقيق محمد الطناحى

وعبد الفتاح الحلوى الحلبى ١٣٨٣هـ

تحقيق الدكتور إحسان عباس -

بيروت ١٩٧٨م

تحقيق غوستاف فيستنام - ليدن

١٩٦٤م

لابن الجزرى - برجستراسر ١٩٣٣

- ١٩٣٥م

للذهبي - تحقيق محمد سيد جاد

الحق .. دار الكتب الحديثة -

القاهرة ١٩٦٧م

للداودى - تحقيق على محمد عمر

- وهبه القاهرة ١٩٧٤م .

للسيوطى - وهبه - القاهرة ١٩٧٥م

- ٣٥- طبقات ابن هداية الله
تحقيق عادل نويهض - بيروت
١٩٧١م
- ٣٦- العبر
للذهبي - تحقيق صلاح الدين
المنجد وفؤاد سيد - الكويت ١٩٦٠م
للبيغدادي - القاهرة ١٩٧٥م
لابن النديم - بيروت ١٩٧٨م
للكنوي - بيروت ١٣٢٤هـ
- ٣٧- الفرق بين الفرق
٣٨- الفهرست
٣٩- الفوائد البهية في تراجم
الحنفية
٤٠- فوات الوفيات
لابن شاکر الکتبی - تحقيق محمد
محيي الدين عبد الحميد - القاهرة
١٩٥١م
لابن الأثير - بيروت ١٩٦٥م
لابن الأثير - نشره القدسي -
القاهرة ١٣٥٧هـ
- ٤١- الكامل في التاريخ
٤٢- اللباب في تهذيب الأنساب
- ٤٣- لسان الميزان
٤٤- مرآة الجنان
لابن حجر العسقلاني
للبيهقي - حيدر آباد الدكن بالهند
١٣٣٨هـ
- ٤٥- مروج الذهب
٤٦- المعارف
للمسعودي - القاهرة ١٩٦٤م
لابن قتيبة - تحقيق ثروت عكاشة -
دار المعارف ١٩٧٨م

- ٤٧- معجم الأدباء
لياقوت الحموى - القاهرة ١٣٥٥هـ -
١٩٣٦م
- ٤٨- البلدان
لياقوت الحموى - دار صادر -
بيروت
- ٤٩- المال والدحل
الشهرستاني القاهرة ١٩٧٥م
- ٥٠- مناقب الإمام أحمد
لابن الجوزى - تحقيق عبد الله
التركى - الخانجي - القاهرة
١٩٧٣م
- ٥١- المنتظم
لابن الجوزى - حيدر آباد الدكن
الهند ١٣٥٧هـ
- ٥٢- ميزان الاعتدال
للذهبي - تحقيق علي محمد
البجاري - الحلبي - القاهرة ١٩٦٣ .
- ٥٣- الدجوم الزاهرة
لابن تغرى بردى - دار الكتب
المصرية ١٩٣٢م
- ٥٤- نزهة الألباب فى الألقاب
لابن حجر العسقلانى - دار الجيل -
بيروت ١٩٩١م
- ٥٥- نكت الهميان
للصفدى - تحقيق أحمد زكى
القاهرة ١٩١١م

يتناول هذا الكتاب رسالتين هامتين
من رسائل الإمام السيوطي الفائضة
والعامرة بالعلم والمعرفة والبحث وهما
« مسائل الجنة في والدي المصطفى »
و « التعظيم والمناسة في أن أبوى
رسول الله ﷺ في الجنة » حيث يلقي
الضوء على ما ورد من آيات وأحاديث
حول هذا الموضوع ، ثم يبين لنا آراء
المفسرين والمجتهدين من شتى المذاهب
بشيء من الدقة والتفصيل .

فلهاذا أقدم لكل قارئ وقارئة
هذا العمل للاستفادة منه خدمة
للإسلام والمسلمين .

24 June 1954

تفہیم
تفہیم
تفہیم



دار ال أمین

المادة 10: لا يجوز للمحكمة أن تصدر حكمًا بغير الطلب الذي تقدمت به النيابة العامة، ولا أن تضيف إلى الطلب ما لم يطلبه المدعي، ولا أن تترك ما لم يطلبه المدعي، ولا أن تترك ما لم يطلبه المدعي، ولا أن تترك ما لم يطلبه المدعي.

To: www.al-mostafa.com